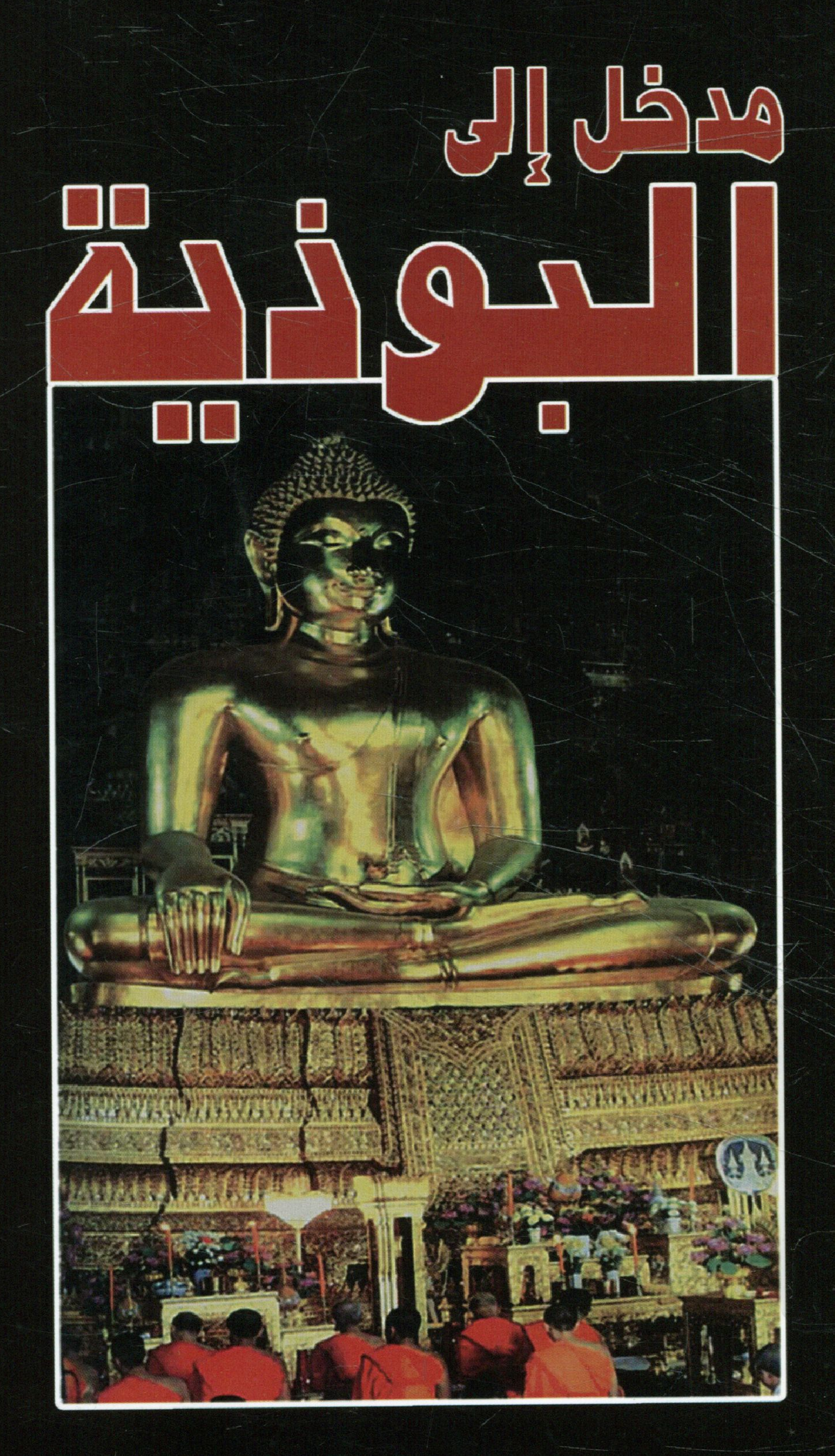
تأليف: دامني كيون

ترجمة: د. سعد الدين خرفان

مدخل إلى البوذية



دار رسلان

مدخل إلى البوذية

مدخل إلى البوذية

تأليف: دامني كيون

ترجمة : د. سعد الدين خرفان

مدخل إلى البوذية

تأليف: دامني كيون

ترجمة: د. سعد الدين خرفان

سنة الطباعة: ٢٠٠٧.

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

الإخراج الفني وتصميم الغلاف: فيصل حفيان

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

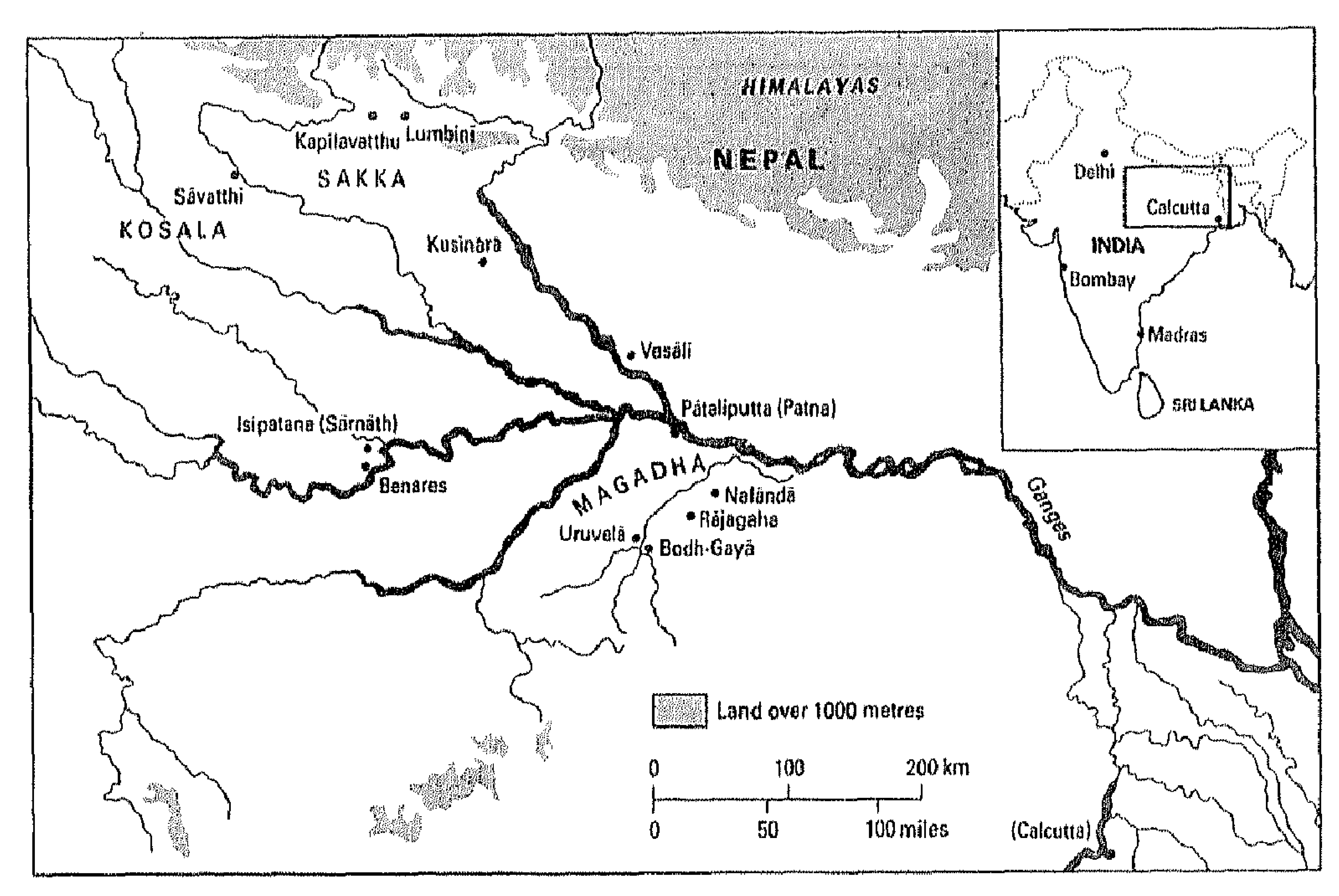
دار ومؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

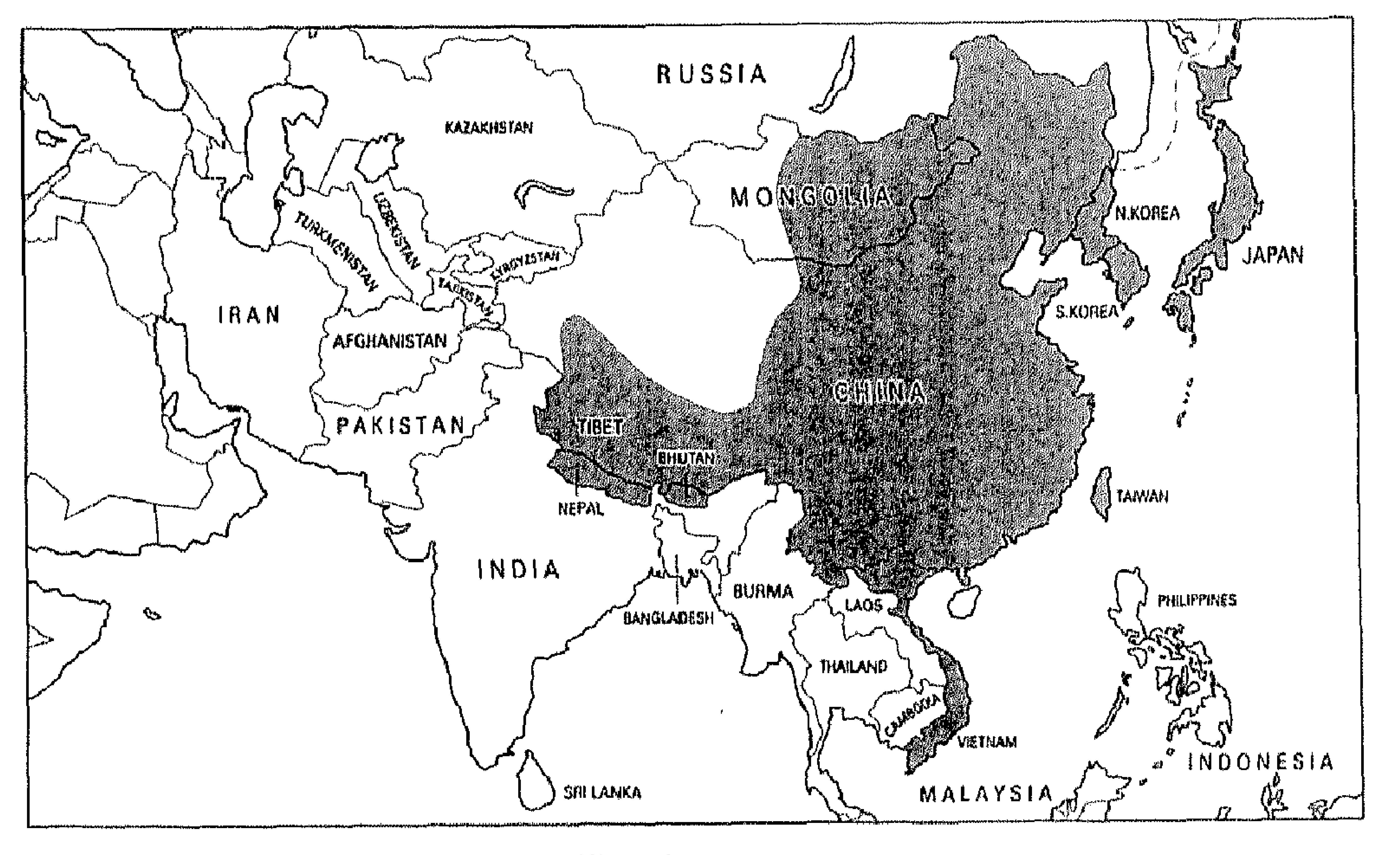
سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ـ تلفاكس: ٥٦٣٢٨٦٠

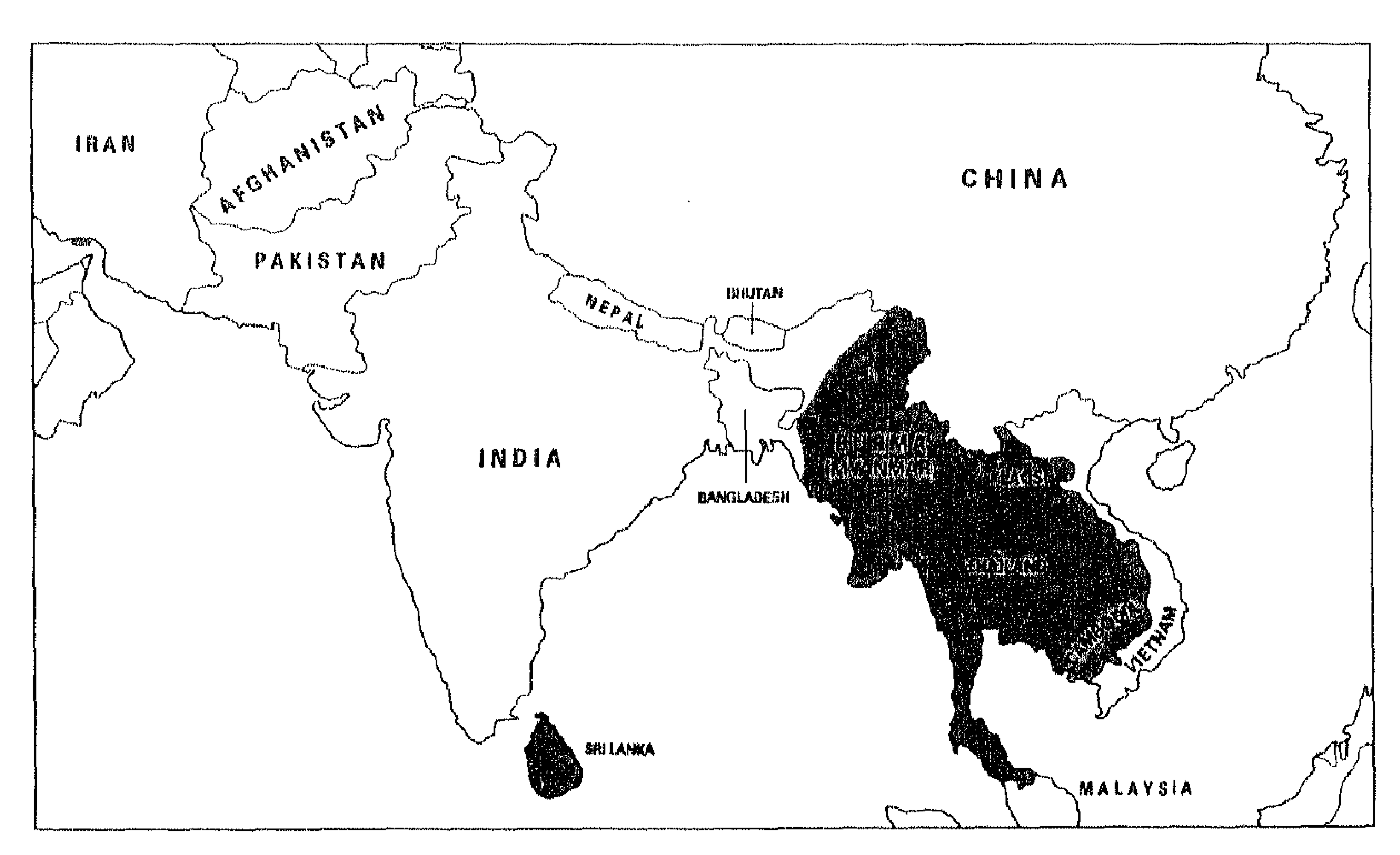
ص. ب: ٢٥٩ جرمانا



الهند والمنطقة التي عاشت فيها البوذية وبشرت ضمنها.



٢- بوذية الثيرافادا في آسيا.



٣- بوذية الماهايانا في آسيا



البوذية وقصة الفيل

روى بوذا مرة قصة الرجال العميان والفيل، فقد ذكر أن ملكاً قديماً لبلدة سافاتذي جمع رعاياه من العميان وقسمهم إلى مجموعات، ثم أخذت كل مجموعة إلى فيل وعرفت على عضو مختلف منه (الرأس والجذع والأقدام والذيل... وهكذا). وبعد ذلك سأل الملك كل مجموعة أن تصف له هذا الحيوان، فوصف أولئك الذين لامسوا الرأس على أنه ابريق من الماء، ووصف أولئك الذين تعرفوا على الأذنين للحيوان بسلة وأولئك الذين لمسوا القدم على أنه يشبه العمود، أما أولئك الذين لامسوا الناب فأصروا على أن للفيل شكل الجذع، ثم بدأت المجموعات تتجادل مع بعضها البعض ويصر كل منها على أن تعريفها هو الصحيح وأن الآخرين مخطئون.

تشبه دراسة البوذية خلال القرن الماضي التقاء الرجال العميان بالفيل من عدة نواح، ويميل طلاب البوذية إلى التعرف على جزء بسيط من التقاليد وافتراض أن استنتاجاتهم صحيحة بالنسبة للبوذية كلها، وغالباً ما تشبه الأجزاء التي تعرفوا عليها أجزاء الفيل، فكل جزء من الحيوان مثير ومهم ولكنه لا يمثل الحيوان بكامله، ونتيجة لذلك فقد أعطيت تعميمات شاملة وخاطئة عديدة حول البوذية مثل إنها (سلبية) أو (متقشفة) أو (متشائمة)... وغيرها. وبالرغم من أن هذا الميل للتعميم

أقل انتشاراً الآن إلا أنها لا تزال موجودة في بعض المراجع الأقدم حيث مال مؤلفوها إلى المبالغة في بعض خصائص البوذية، وافترضوا أن ما هو صحيح بالنسبة للبوذية في ثقافة معينة أو ظرف تاريخي محدد، هو صحيح دائماً في كل زمان ومكان.

إن الدرس الأول الذي تعلمنا إياه قصة العميان والفيل هو أن البوذية موضوع كبير ومعقد، وأنه يجب أن نكون حذرين من التعميمات التي تقدم على أساس من المعرفة بجزء منها فقط، ويجب على الأخص معالجة المقولات التي تبدأ بـ (يعتقد البوذيون كذا ...أو تعلم البوذية كذا) بنوع من الحيطة، ونحتاج إلى تحديدها بالسؤال عن أية بوذية نشير إليها وعن أي تقليد يتبعه البوذيون وعن أية طائفة أو مدرسة ينتمون إليها.. وهكذا قبل أن يكون لهذه المقولات أية فائدة، ويذهب بعض العلماء إلى أبعد من ذلك ويدعون بأن الظاهرة الثقافية المعروفة للغرب بالـ (البوذية) (أصبحت كلمة البوذيين معتمدة في الاستعمال الغربي منذ عام ١٨٣٠ فقط) ليست وحدة واحدة على الإطلاق ولكنها مجموعة من التقاليد المتفرعة، وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن نتحدث عن (بوذيات) بالجمع بدلاً من (بوذية) بالمفرد، إن الاتجاه نحو تفكيك البوذية بهذه الطريقة يمكن أن ينظر إليه كرد فعل على الاتجاه الأقدم (لتركيبها)، وبعبارات أخرى للافتراض بأن البوذية مؤسسة واحدة متشابهة في كل زمان ومكان، إن الطريقة الوسطى المتبعة هنا للتفكير بالبوذية تشبه الفيل في القصة، فللبوذية تركيب غريب من أجزاء غير متشابهة ولكنها أيضاً تحتوي على جذع مركزي تتصل به كل هذه الأجزاء.

وربما نتعلم درساً ثانياً من قصة الفيل.وهو درس أقل وضوحاً ولكنه ليس أقل قيمة وهو أن هناك أنواعاً عدة من العمى، لقد أظهرت التجارب في مجال الإدراك البصري أن للعقل تأثيرا قوياً على ما نراه، وإلى حد بعيد فإن البشر يرون ما يتوقعون أو ما يودون أن يروه وأنهم يتناسون أشياء لا تتلاءم مع نموذجهم عن الواقع، وفي الثقافات المختلفة يُربى الأطفال على الرؤية والفهم بأشكال مختلفة، وهذا هو السبب في أن الطقوس الأجنبية تبدو غريبة ومُثيرة للانتباه بالنسبة للأجانب ولكنّها طبيعية بالنسبة لأفراد من الثقافة ذاتها، ومن السهل عند التعامل مع ثقافات أخرى

أن نعرض اعتقاداتنا الخاصة وقيمنا وأن (نكتشفها) بأعجوبة، بعد ذلك في المادة الأصلية، ولذا تُصبح البوذية تماماً ما نأمله أو (ما نتمنّى) أن تكونه، وحتى الخبراء ليسوا معصومين من إعادة قراءة افتراضاتهم في البيانات الأولية، وقد فسر عددٌ من العلماء الغربيين البوذية بطرق تتفق مع اعتقاداتهم الشخصية، وتنشئتهم أكثر مما تتفق مع البوذية نفسها.

وعدا عن قابلية الأفكار الشخصية للتأثيرات الذاتية من أشكال مختلفة هناك أيضاً خطر النمط الثقافي المسبق، الذي ينشأ عند الالتقاء بـ(الآخر)، لقد نبّه كُتّاب معاصرون مثل إدوار سعيد إلى ميل الغرب في الفن والأدب إلى بناء (شرق) هو انعكاس لما يتصوّروه عنه أكثر مما هو وصف دقيق للواقع الموجود فعلاً، وليست هناك حاجة لقبول نظرية سعيد في المؤامرة والتي يقول فيها بأن الغرب نمذج الشرق فكراً كمقدمة لاستعماره سياسياً لندرك بأن الاقتراب من دراسة ثقافات أخرى لابد وأن يتأثر بافتراضات وميول مترسبة من ثقافتنا قد لا نعيها كثيراً، ولذا يجب عند دراسة البوذية أن ننبه إلى خطر (العمى الثقافي) وعدم الفهم اللذين يمكن أن ينشآ من الافتراض بأن الأصناف والأفكار الغربية تنطبق أيضاً على الثقافات والحضارات الأخرى.

هل البوذية دين؟

تواجهنا مشكلات من النوع الذي ذكر مسبقاً بمجرد أن نحاول تعريف البوذية وهل هي دين أم فلسفة أو أسلوب للحياة أو مجموعة من القيم الأخلاقية، ليس من السهل تصنيف البوذية على أنها واحدة من هذه الأشياء بل هي تتحدانا لإعادة التفكير ببعض هذه المصطلحات، فماذا نعني بكلمة (دين) مثلاً ؟ سيقول معظم الناس أن الدين موضوع يتعلق بالإيمان بالله، ونفهم الإله على أنه كائن متعالٍ خلق الكون وجميع المخلوقات فيه، والأكثر من ذلك فإن الإله مُهتم جداً (أو على الأقل حتى الآن) بمسيرة التاريخ الإنساني وإظهار إرادته بطُرق شتّى والتدخل بشكل إعجازي في المواقف الحرجة.

وإذا كان الاعتقاد بالإله بهذا المفهوم هو فحوى الدين فلا يمكن أن تكون البوذية دينا، فليس لدى البوذية مثل هذا الاعتقاد بل هي على العكس تنفي وجود إله خالق وهذا يجعل منها بحسب التصنيف الغربي (ملحدة)، ولكن المشكلة في هذا التصنيف هي أن البوذية تعترف بوجود كائنات ميتافيزيقية كالآلهة والأرواح، وأيضاً فإن البوذية على ما يبدو لا تتفق مع العقائد الإلحادية الأخرى كالماركسية، ولذا فربما كانت التصنيفات مثل (إيماني) و(إلحادي) غير مناسبة هنا، لقد اقترح البعض تصنيفاً جديداً وهو (الدين غير الإيماني) ليدل على البوذية، إن الاحتمال الآخر هو أن تعريفنا هو بالأصل محدود جداً، هل السبب في أن فكرة الإله الخالق والتي هي الخاصة المحورية لأحد الأديان - أو لطائفة منها - ليس الخاصة المحورية لكل الأديان؟ فبينما تشكل هذه الفكرة محور الديانات السامية أو الإبراهيمية كاليهودية والمسيحية والإسلام إلا أن هناك أنظمة اعتقاد أخرى كالكونفوشوسية والتاوية والتي تشبه الدين الغربي من وجوه عدة ولكنها تفتقر إلى هذا المكون.

الأبعاد السبعة للدين

منذ نشوء علم الدين المقارن بشكل جدي في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية شكلت البوذية معضلة للعلماء الذين حاولوا تقديم تعريف مُرضٍ لها، إن أحد أكثر الطرق نجاحاً لحل هذه المشكلة هي تلك التي تبناها نينيان سمارت والذي بدلا من تقديم تعريف محدد للدين قام بتحليل هذه الظاهرة إلى سبعة أبعاد رئيسة، ولذا فقد يقال بأن للأديان بعداً إجرائياً أو طقسياً وبعداً عاطفياً أو تجريبياً وبعداً أسطورياً أو قصصياً وبعداً عقلياً أو فلسفياً وبعداً أخلاقياً أو تشريعياً وبعداً اجتماعياً أو مؤسساتياً وبعداً مادياً أو فيزيائياً، إن جاذبية هذا النهج هو أنه لا يحصر الدين في عقيدة واحدة، ولا يقترح أن يكون لكل المؤمنين بالأديان شيء واحد مشترك إذ أن المعلومات من ثقافات مختلفة، وفي فترات تاريخية متفاوتة تُظهر أنها لا تشترك بذلك، ومع ذلك يبدو أن هناك عدة أشياء تُعطي بمجموعها فحوى لما ندعوه بـ(الدين)، كيف تبدو البوذية على ضوء هذه الأبعاد السبعة؟ إن تحليلها بهذا المنظور يجب أن يعطينا ميزة على الرجال العميان في تقديم وصف متكامل للفيل بدلاً من أجزائه.

البعد الإجرائي أو الطقسي

يبدو البعد الإجرائي والطقسي في البوذية أقل وضوحاً مما هو في الديانات التقديسية القوية مثل اليهودية والمسيحية الأرثوذكسية، ومع ذلك ففي البوذية طقوس واحتفالات من نوع عام وخاص، ويتعلق العديد منها بحياة الرهبنة، وتُجرى طقوس الدخول في الرهبنة عندما يصبح الشخص كاهناً (بحلق شعر الرأس على سبيل المثال) وهناك احتفالات من حين لآخر مثل الترديد الجماعي لقوانين الدير في الليالي التي يكون فيها القمر بدراً ومع ولادة القمر كل شهر، واحتفال سنوي مهم هو احتفال كاثينا حيث يقدم العامة أثواباً جديدة عندما ينهي الرهبان اعتزالهم في الطقس الممطر، ولا يقوم الرهبان عادةً بطقوس مقدسة بالنسبة للعوام، ولا يجرون طقوس الزواج والتعميد، وينظر إلى هذه الطقوس على أنها احتفالات عائلية أكثر من كونها دينية على الرغم من أن المشاركين فيها قد يقومون بزيارة المعبد بعد الانتهاء منها للتبرك، وليس لرهبان البوذية دور كهنوتي، فهم ليسوا وسطاء بين الله والبشر، ولا يمنحهم دخولهم في سلك الكهنوت أية قوى أو سلطة خارقة، ومع ذلك يقوم الرهبان بتحضير الجنائز لأن الموت هو البوابة لعالم آخر غير مرئي ولدى البوذيين الكثير ليتحدثوا عنه في هذا الصدد، ويعتقد البوذيون أيضاً أن الحالة العقلية للمتوفى عند وفاته مهمة بشكل خاص إذ أنها تؤثر على الظروف التي تتم فيها ولادته من جديد، وهناك اختلافات واسعة في طقوس المدارس البوذية المختلفة، وقد أثرت التقاليد المحلية وكذلك طلب البوذيين العاديين (بمن فيهم البوذيون في الغرب) في تطوير طقوس جديدة (مثل الاحتفال بالزواج) تشبهاً بالاحتفالات التي تقيمها الأديان الأخرى، ويعمل هذا التأثير في الاتجاه المعاكس أيضاً فهناك دلائل على أن بعض الطقوس البوذية مثل طقس فيردكو كويو الذي يجرى في اليابان بعد الإجهاض قد أدخل في بعض الطقوس الغربية.

> **دين بدون إله ؟**
>
> **أنكر بعض العلماء البوذية كدين لأن البوذيين لا يعتقدون في كائن علوي أو في روح بشرية، ولكن هل بُنِيَ هذا الحُكم على تعريف ضيق جداً للدين ؟**

بحسب رأي نينيان سمارت فإن للدين (الأبعاد السبعة التالية)، وإذا كان سمارت على حق يبدو من المعقول تصنيف البوذية كدين.

١- الإجرائي والطقسي.
٢- العاطفي والتجريبي.
٣- القصصي والأسطوري.
٤- الفلسفي والعقائدي.
٥- الأخلاقي والقانوني.
٦- المجتمعي أو المؤسساتي.
٧- المادي أو الفيزيائي.

البعد العاطفي أو التجريبي

إن البعد العاطفي أو التجريبي للبوذية - البوذية كخبرة معاشة - مهم جداً، إن خبرة البوذا الشخصية في التنوير هي الأساس لكل التقاليد البوذية، لقد أدخل بوذا تجربته الشخصية مرة بعد مرة كسلطة لترسيخ مبادئه واقترح ان التعاليم غير الموثقة بالتجربة الشخصية ذات قيمة ضئيلة، ويتضمن تنوير البوذا أيضاً ناحية عاطفية على شكل تعاطف عميق يدفعه لنشر تعاليمه أو الدارما Dharma، وبسبب هذا التعاطف العميق مع آلام البشر قضى بوذا الشطر الأكبر من حياته وهو ينشر تعاليمه التي أدرك أنها (يصعب رؤيتها وفهمها وأنها ذكية وستجرب من قبل الحكماء) لمصلحة القلة _ ببعض الغبار في أعينهم والذين يشتكون من عدم سماعه).

إن البعد التجريبي ذو أهمية كبيرة لأن البوذية تعتبر الحياة الدينية على أنها في الأساس دورة في تهذيب النفس، وتولد التمارين الروحانية مثل التأمل حالات متغيرة من الوعي يمكن أن تسرع من التطور الروحي، وبحسب أهميتها يمكن مقارنة التأمل بالصلاة في المسيحية بالرغم من أن للتأمل البوذي والصلاة المسيحية أهدافاً مختلفة، فعندما يتأمل البوذي فإنه لا يطلب من الله أن يحقق رغباته ولكنه يحاول الحصول على الحكمة والتعاطف، إن التأكيد على البعد التجريبي الداخلي للتمرين الديني يربط البوذية بالتقاليد السرية للهند القديمة مثل اليوغا، ففي اليوغا تستخدم تمارين عديدة مثل التحكم بوضع الجسد والتحكم بالتنفس من أجل التحكم بالجسم

والعقل وتطويع قدراتهما الكامنة، وسنرى في الفصل التالي كيف أن البوذا جرب بعض هذه الطرق بنفسه، إن هذه التقانات ليست محصورة على الهند فقط بل إنها توجد في أماكن أخرى من العالم، وهناك الآن دلائل على عودة الاهتمام بالبعد الروحاني للمسيحية وهو تطور ربما بدأ جزئياً من خلال الاهتمام المعاصر بالروحانية الهندية.

البعد القصصي والأسطوري

تمتلك البوذية شأنها في ذلك شأن الأديان الأخرى حصتها من الحكايات والأساطير، ولا تعني الأسطورة في هذا السياق شيئاً زائفاً وإنما هي حكايات وقصص لها قوة مؤثرة بفضل قدرتها على الفعل والتأثير على عدة مستويات في آن واحد، فلديها محتوى قصصي ولكن كما في الحكاية فإن لها أيضاً محتوى مجازياً يفهم ويفسر بطرق متعددة، لقد اعتقد فرويد على سبيل المثال إن أسطورة **أوديب - الذي قتل والده وتزوج أمه - احتوت على حقائق عامة هامة حول الجنس لدى البشر والعقل الباطن**، ويصعب في بعض الأحيان معرفة فيما إذا كان يجب أخذ محتوى الأسطورة على ظاهره أم لا، إن الذين يعتقدون حرفياً بصدق الإنجيل يجدون في قصة الخلق كما وردت في سفر التكوين وصفاً حقيقياً لبداية خلق العالم، وقد يفضل آخرون التفسير العلمي للحوادث بينما يقبلون بأن الوصف في سفر التكوين يوضح عن حقيقة عميقة للعلاقة بين الله والكون، **وتحتوي البوذية القديمة على (أسطورة الخلق) الخاصة بها في الـ (اغانا سوتا)**، وهناك أيضاً عدد من القصص المحببة مثل قصص جاتاكا والتي هي مجموعة من القصص الأخلاقية حول الحيوات السابقة لبوذا، وفي بعض هذه القصص تكون الشخصيات حيوانات وهي ليست بعيدة عن حكايات البوب، وفي النهاية يظهر بوذا على أنه الشخصية الرئيسة في حياة سابقة.

وتحيي عدد من القصص الدراماتيكية التي تحتوي على أحداث ميتافيزيقية الأدب البوذي وتصبح مع مرور الزمن أكثر مبالغة وتفصيلاً، وحتى في المصادر الأقدم تظهر الآلهة والأرواح بشكل متكرر، ويوصف هؤلاء عادةً في الفن البوذي

بأنهم يشكلون جزءاً من المشاهدين لمراحل هامة من حياة بوذا، وتروي إحدى الحكايات الحية قصة عراك البوذا قبل استنارته مع مارا الشرير وانتصاره عليه وتفريق كتائبه، وهناك أيضاً قصص وحكايات أكثر واقعية تحكي قصة البوذية في ثقافات مختلفة على الرغم من أن هذه القصص تحتوي أيضاً على عناصر سحرية.

البعد الفلسفي والعقائدي

لا يستخدم البوذيون في آسيا كلمة (البوذية) لوصف ديانتهم بل يشيرون إليها إما بالـ (دارما) أو الشريعة أو بودها سيسانا أو تعاليم بوذا، وسيكون البعض غير سعداء بإطلاق المصطلح عقيدة على ديانتهم ويرون أن لهذه التسمية معاني ترتبط بالدين في الغرب، ومع ذلك فإذا كنا نفهم من **(العقيدة) الصياغة المنظمة للتعاليم الدينية بشكل متناسق عقلياً** فليس من غير المعقول تطبيق ذلك على البوذية، وتوجد المبادئ الأساس للعقيدة البوذية في مجموعة من الأطروحات المترابطة التي تعرف باسم **(الحقائق النبيلة الأربعة)** والتي صيغت من قبل بوذا، وتقع مسؤولية دراسة هذه العقائد وشرحها وتفصيلها على عاتق نخبة متعلمة، وفي البوذية فان مهمة الحفاظ على النصوص وتفسيرها هي مسؤولية الـ (سانغا) أو سلك الرهبنة، ومع ذلك فليس كل الرهبان فلاسفة فهناك في تقاليد البوذية **من شعر بأن التجربة الروحية من النوع المكتسب من خلال التأمل هي الطريق الأوثق للتحرر من دراسة النصوص**، وبالرغم من هذا فقد صرف البوذيون عبر العصور طاقات خلاقة كبيرة في البحث، كما هو واضح من ضخامة عدد النصوص والأطروحات المحفوظة في عدد من اللغات الآسيوية، ولم يترجم إلى الآن سوى نسبة ضئيلة من هذا التراث الأدبي على الرغم من أن عدداً من أهم الكتابات متوفر الآن بالإنكليزية ولغات أوروبية أخرى.

البعد الأخلاقي والقانوني

تلقى البوذية احتراماً واسعاً كأحد أهم الديانات الأخلاقية، وفي صميم الأخلاق البوذية هناك مبدأ (عدم الأذى) أو اهيمزا والذي يوضح عنه في احترام الحياة الشائع لدى البوذيين، ولدى البوذيين احترام كبير لكل الكائنات الحية بمن فيهم البشر والحيوانات ويعتبرون القتل المتعمد للأحياء خطأً جسيما"، لقد قادت هذه الفلسفة

كثيرا من البوذيين (وليس كلهم) ليصبحوا نباتيين ولتبني السلام كأسلوب في الحياة، ويلعب مبدأ (عدم الأذى) أيضاً دوراً ايجابياً في المساهمة الفعلية للرهبان البوذيين وللعوام في تأسيس المشافي والمدارس والمؤسسات الخيرية بأشكالها المختلفة،

إن العنف من أي نوع بغيض لدى البوذيين، ويبدو استخدام القوة لتحقيق أهداف الدين كالجهاد أو الحملة الصليبية أمراً غير مفهوم، ولا يعني هذا أن سجل البوذية نظيف تماماً فلقد كانت هناك مراحل من التاريخ الآسيوي استغلت فيه البوذية لأغراض سياسية واستخدمت لتبرير حملات عسكرية، ومع ذلك فهناك القليل الذي يمكن مقارنته بالحملات الصليبية والحروب الدينية في القرون الوسطى وأوائل العصر الحديث في أوروبا، وقد تبنى بوذيو التيبت في هذا القرن سياسة المقاومة السلبية لغزو بلادهم من قبل الصين عام ١٩٥٠ والتي مات إثرها حوالي مليون تيبتي وهدمت حوالي ٦٠٠٠ صومعة، وقد استمرت الانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان هناك منذ ذلك الوقت.

إن الأبعاد الخمسة التي وصفت حتى الآن ذات طبيعة مجرّدة، ويعنى البعدان الأخيران منها بالدين كما هو في صيغته الفيزيائية والاجتماعية.

البعد المجتمعي أو المؤسساتي

عرف الفرد نورث وايتهد الدين على أنه (ما يفعله المرء مع نفسه حين يكون وحيداً)، ولكن للدين جانب آخر غير التجربة الذاتية الخاصة، (بحسب تحليلنا الحالي فان هذا التعريف يؤكد كثيرا على البعد التجريبي)، ويرى المؤمنون بالدين أنفسهم جزءا من مجتمع وغالباً ما يرون في هذا أهمية سياسية ودينية كما في مفهوم المسيحانية الشائع في القرون الوسطى، ويوجد مثل هذا المفهوم في الإسلام أيضاً حيث ينظر إلى القانون الأساسي أو الشريعة على أنها تشمل كافة نواحي الحياة الخاصة والعامة.

إن نواة المجتمع في البوذية هي نظام الرهبنة سانغا الذي أسسه بوذا، وبينما يشكل هذا النظام المؤسسة الاجتماعية الرئيسة إلا أن البوذية ليست ديناً للرهبان

فقط، وتقدم المصادر القديمة تصنيفاً اجتماعياً للبوذية على شكل (نظام رباعي) يتألف من الرهبان والراهبات والأتباع المخلصين من الذكور والإناث، ويركز هنا على احتواء الجميع وعلى الاعتماد المتبادل بالنسبة للجنس ومؤسسات الرهبنة وعامة الناس، وبينما يوجد تمييز واضح بين الرهبان وعامة الناس في أغلب العالم البوذي إلا أن محاولات جرت لتقليص الحدود بينهما أو إزالتها وهو اتجاه نجح جيداً في اليابان.

ويمكن للتنظيم الاجتماعي للدين أن يأخذ أشكالاً مختلفة تبدأ من المجموعات الصغيرة التي يقودها معلمون أفراد وتنتهي بالمؤسسات الضخمة ذات الترتيب الهرمي التي ينضوي فيها ملايين الأتباع، وهناك العديد من الانقسامات في البوذية، لقد كان بوذا في الأصل معلماً جوالاً جذب الأتباع إليه من خلال جاذبيته الشخصية، ومع نمو عدد البوذيين تطور نوع من البنية المؤسساتية على شكل مجتمع رهباني له قوانينه وقواعده، لقد صرح بوذا بأنه لا يعتبر نفسه رئيساً لهذا المجتمع وامتنع عن تعيين خليفة له عند وفاته، وقد شجع بوذا أتباعه على العيش طبقاً لتعاليم الدارما وقانون الرهبنة وأن يكونوا حملانا أو جزرا لأنفسهم، وبينما يوجد اليوم لكل دولة سلطة كهنوتية خاصة بها إلا أن البوذية لم تمتلك على الإطلاق رئيساً واحداً ولم يكن لها مقر مركزي يشبه مركز البابا في المسيحية.

وبغياب السلطة المركزية فقد مالت البوذية إلى الانقسام بسهولة عند ظهور الخلافات حول مسائل محلية أو عقائدية، وتتحدث حوليات البوذية عن تأسيس ١٨ مدرسة خلال قرنين بعد وفاة بوذا، وعن ظهور عدد أكبر من ذلك بعد ذلك الوقت.

ويبدو أن البوذا فضل نموذجاً جمهورياً لمجتمع اتباعه وقد شجع الرهبان على أن يقيموا (اجتماعات عامة ومتكررة) وأن يتخذوا قراراتهم على أساس من الاتفاق الجماعي، إن التنظيم الاجتماعي للبوذية يختلف من ثقافة لأخرى وقد أظهر هذا التنظيم مرونة كبيرة في التأقلم مع تقاليد الثقافات المحلية التي اتصل بها، ومع انتشار البوذية في الغرب يتوقع تطور الشكل الديمقراطي من التنظيم الاجتماعي مع تطوير البوذية لبناها الاجتماعية الملائمة لاحتياجاتها.

البعد المادي أو الفيزيائي

إن البعد السابع والأخير من الدين مشتق إلى حد بعيد من البعد المجتمعي، ويحتوي البعد المادي على أشياء تجسد روح الدين وفحواه كالكنائس والمعابد والأعمال الفنية والتماثيل والمزارات والأماكن المقدسة مثل أماكن الحج، وفي الهند أصبحت المواقع المختلفة المرتبطة بحياة البوذا مراكز هامة للحج مثل مكان ولادته ومكان تنويره والحديقة التي ألقى فيها موعظتهُ الأولى، وفي أماكن أخرى من آسيا هناك العديد من المواقع البوذية ذات أهمية أثرية وتاريخية وأسطورية، وتشمل هذه المواقع الصخور الضخمة المنحوتة مثل تلك في بولانروا في سيلان وبانيان في أفغانستان ويون كانغ في الصين، إن الأثر الأكثر تذكيراً بوجود البوذية في آسيا هو أبيكوتس ستوبا وهو صرح على شكل قبة تطور تحت تأثير أساليب العمارة في شرق آسيا.

إن الفن الآخر ذا الأهمية الكبيرة في البوذية هو الكتاب، وتعامل الكتب الدينية بكثير من التبجيل لأنها تحتوي تعاليم البوذا وحكمته، ويعتبر نسخ هذه الكتب أو استعادتها أو حفظها عملاً من أعمال التقوى وكذلك ترجمتها إلى اللغات المختلفة.

ملخص

نستطيع مما تقدم أن نلاحظ بأن الدين ظاهرة متكاملة ولا يمكن لأي تعريف بسيط مأخوذ من القاموس أن يوفيه حقه وعلى الأخص تعريف مأخوذ من التجربة الغربية للدين، وعندما نبدأ بالتفكير في الدين ككائن بأبعاد متعددة يصبح من السهل رؤية كيف أن البوذية _ بالرغم من خصائصها المميزة والغريبة _ تأخذ موقعها بين عائلة الأديان في العالم، وبالعودة إلى سؤالنا الأصلي نستطيع أن نرى أيضاً لماذا كان من غير الملائم تعريف البوذية ببساطة على أنها فلسفة أو أسلوب في الحياة أو مجموعة أخلاق، إنها تحتوي على كل هذه الأشياء بينما تبدو أحياناً وكأنها تقدم نفسها بشكل أبرز في جانب واحد منها، ولكن هذا يعتمد بشكل كبير على المنظور الذي ينظر إليها منه وعلى المدى الذي تهمل منه بعض أبعادها الأخرى، وإذا أراد شخص ما أن يرى البوذية على أنها فلسفة عقلانية خالية من الخرافات الدينية يمكنه بالتركيز على البعد العقائدي والفلسفي لها وأن يفهمها

على هذا النحو، وإذا أراد آخر أن يراها بشكل أساسي كتجربة في الخبرة الروحية يمكنه ذلك بجعل البعد التجريبي مركزياً، وأخيراً يمكن للمرء الذي يريد أن يرى البوذية كمجموعة من القيم الأخلاقية والإنسانية أن يجد المبرر لذلك بجعل البعد الأخلاقي والقانوني ذا أهمية أولى، لقد ذكرت هنا هذه التفسيرات الخاصة للبوذية لأنها هي التي برهنت عن شعبيتها لدى الغربيين خلال القرن الماضي، وبينما قد تكون هذه النظرة شرعية إلا أنها غير كاملة وتمثل عادةً رد فعل على الثغرات المدركة في الدين في الغرب، إن التركيز على بعد واحد فقط من الأبعاد البوذية بهذه الطريقة يرتكب الخطأ ذاته الذي ارتكبه العميان بالتركيز على جزء واحد فقط من الفيل.

ومع الاستنتاج بأن البوذية دين فإن مهمتنا في الفصول القادمة استكشاف أبعادها بتفصيل أكبر، إن الأبعاد التي ستلقى اهتماماً أكبر في هذا الكتاب هي الأبعاد العقائدية والروحية والأخلاقية على الرغم من أننا سنشير إلى الأبعاد الأخرى في المواقع الملائمة، ولكن يجب علينا أولا أن نتعلم شيئاً عن حياة مؤسس البوذية سيدهاتراغوتاما.

طوائف البوذية ومدارسها

ظهر عدد من الطوائف والمدارس في البوذية خلال القرون، وهناك اختلاف كبير بين البوذية المحافظة في جنوب آسيا في دول مثل سيريلانكا وبورما وتايلند وبين المدارس الأكثر إبداعاً عقائدياً في الشمال والموجودة في التيبت وآسيا الوسطى والصين واليابان، وتسيطر مدرسة الثيرافادا في جنوب آسيا ويعني اسمها (التعليم الملتزم) أو (التعاليم الصحيح) على الرغم من ترجمتها الشائعة (عقيدة الرجال الكبار)، وتعتبر هذه المدرسة نفسها محافظةً على التعاليم الأصلية للبوذا نفسه، وتنتمي مدارس آسيا الشمالية إلى المدرسة المعروفة باسم ماهايانا وتعني (العجلة الكبرى)، ويعتقد البوذيون بانتمائهم إلى أحد هاتين العائلتين بالطريقة نفسها التي ينتمي فيها المسلمون إلى سنة وشيعة والمسيحيون الغربيون إلى بروتستانت وكاثوليك...!

الفصل الثاني

بوذا

ولد بوذا في سهل تيراي Terai قرب سفوح الهمالايا داخل دولة نيبال اليوم، وعُرف بين قومه باسم ساكياس Sakyas ولهذا فقد أشير أحياناً إلى البوذا بساكيا موني أو (حكيم الساكياس)، وبالنسبة لأتباعه يعرف البوذا بـ (باغافات Bhagafat) أو السيد، فكلمة بوذا ليست اسماً شخصياً له ولكنها لقب شرفي بمعنى (المستنير)، وبالرغم من أن هذا اللقب يستخدم للرجل بعد حصوله على التنوير حصراً إلا أنني سأستخدمه هنا لأشير إلى البوذا في الشطر الأول من حياته أيضاً، إن اسم البوذا الشخصي كما ذكر سابقاً هو سيدهاتشا غوتاما.

إن التواريخ المتفق عليها لحياة البوذا هي ٥٦٦-٤٨٦ ق.م على الرغم من أن البحث العلمي الحديث يشير إلى أن تاريخاً بحدود ٤١٠ ق.م قد يكون أكثر احتمالاً لوفاته -(إن التأريخ لهذه الفترة دقيق ضمن عشر سنوات فقط)- وتقترح المصادر التقليدية أن بوذا وأقرباؤه ينتمون إلى الطبقة الثانية من الطبقات الهندية الأربع، وهي طبقة المحاربين الارستقراطيين المعروفة باسم خاتياس على الرغم من عدم وجود دليل على أن نظام الطبقات كان سائداً بين شعب ساكيا.

إن الإشارات إلى المكانة الملكية لوالد البوذا سودهودانا وإلى الاحتفالات الفخمة وطقس الحاشية كما ذكر في الكتابات اللاحقة ربما كان مبالغاً فيها، ومع ذلك فإن مولد بوذا النبيل ومكانته الرفيعة هي مواضيع محببة في الفن والأدب البوذيين، وكذلك فإن خلفيته الأرستقراطية على الرغم من أنها لم تكن رفيعة جداً كما تدعي المصادر قد ساعدته بلا شك في إعطاء انطباع ايجابي في قصور شمال-شرق الهند التي زارها كمعلم متجول.

تحتفظ شرائع بالي Pali Canon بكمية محدودة من المعلومات حول حياة البوذا (انظر الصندوق)، ولم تجر أية محاولة لجمع التفاصيل بعضها مع بعض بحيث تؤلف قصة مستمرة حتى بعد انقضاء ٥٠٠ عام على موته، وفي وقت أسبق وبعد حوالي قرنين من وفاته بدأت الأوصاف الجزئية عن حياته بالظهور مما يعني زيادة الاهتمام بحياة هذا الرجل المميز، إن أكثر الأوصاف شهرة وجاذبية لحياة البوذا هي أنشودة شعرية تعرف بـ (بوذا كارينا) أو أفعال البوذا، والتي ألفت في القرن الأول بعد الميلاد من قبل الأديب البوذي الشهير آسفاغوسا Asvaghosa، وبهذا الوقت أضحت التفاصيل البيوغرافية القديمة مزينة بتفاصيل أخاذة تجعل من الصعب تبين الحقيقة من الأسطورة، وربما ألهمت هذه الأوصاف القصصية عن حياة البوذا خلق صور له لم يعثر عليها حتى حوالي القرن الثاني بعد الميلاد، وقد مثل البوذا قبل هذا الوقت على شكل رموز فقط كشجرة أو دولاب أو مظلة، وكان هذا إما عن احترام له أو لصعوبة إعطاء تعبير جمالي لحالة السمو التي حصل عليها، ومع ذلك فبمرور الوقت بدأ الفنانون بصنع تماثيل لبوذا من الحجر والمواد الأخرى وأصبحت هذه التماثيل موضع تقديس الناس لها.

الكتابات الأولية:

سجلت تعاليم بوذا في مجموعات مختلفة من الكتابات عرفت باسم الشرائع، وقد اشتقت هذه الشرائع من تقليد شفاهي يعود إلى عهد بوذا حفظ من خلال الترتيل الجماعي، إن الوحيد من بين هذه القوانين القديمة والذي حفظ بدون تغيير هو شرائع بالي والتي دعيت بذلك لأنها كتبت بلغة بالي وهي لغة شفاهية ذات صلة بالسنسكريتية وقريبة من

اللغة التي تكلم بها بوذا، وقد كتبت شرائع بالي في سريلانكا حوالي منتصف القرن الأول قبل الميلاد وتتألف من ثلاثة أقسام أو مجموعات، وهذه الأقسام هي:

١- أحاديث البوذا سوتا بيتاكا والتي تقسم إلى خمسة أقسام تعرف باسم نيكياس.

٢- قانون الرهبنة فينايا بيتاكا والذي يحتوي قوانين سلك الرهبنة

٣- أطروحات علمية الهيداما بيتاكا وهي مجموعة أعمال علمية متأخرة قليلاً.

حياة بوذا

إن المعلومات حول حياة بوذا والموجودة في المصادر القديمة مجزأة، وأحياناً عندما يعلَم البوذا موضوعاً ما فإنه يستذكر شطراً من حياته المبكرة ثم يستطرد ليقص القصة، إن بعض هذه الأجزاء من حياته مفصل بينما تظل الأخرى غامضة، وكذلك فان تاريخ هذه القصص ليس واضحاً تماماً، ولهذا السبب فإن تأليف ترجمة لحياة بوذا مبنية على المصادر المتوفرة ليس بالمهمة السهلة، إن أدب التراجم اختراع غربي حديث نسبياً ولا توجد تراجم في الأجناس الأدبية في الهند القديمة، وهناك مصاعب مماثلة تعترض محاولات إنتاج ترجمة لشخصيات دينية قديمة كالمسيح، ومن غير المحتمل أن تلاقي محاولة التعرف على بوذا التاريخي نجاحاً أكبر، وهناك تعقيد إضافي بسبب إيمان البوذية بالتناسخ، ولذا فإن ترجمة كاملة لحياة البوذا يجب أن تحتوي جميع حيواته السابقة أيضاً، وبالرغم من عدم وجود قصة مستمرة قديمة لحياة البوذا فهناك اتفاق عام على التاريخ النسبي لبعض الأحداث الرئيسة في حياته، وباختصار فإن الحقائق هي كما يلي :

لقد تزوج في سن السادسة عشرة من ياسودهارا التي ولدت له ابناً اسمه راهولا أو القيد، وبعد ولادة ابنه بوقت قصير ترك بوذا منزله وهو في التاسعة والعشرين للبحث عن المعرفة الدينية والحصول على التنوير في سن الخامسة والثلاثين، ثم أمضى بقية حياته وهو ما يقارب خمسة وأربعين عاماً بإعطاء التعاليم الدينية ومات وهو في سن الثمانين، ويركز البوذيون عادة على أحداث رئيسة معينة في حياة بوذا

علـى أنهـا أكثـر أهميـة ويحتفلـون بـذكراها بطـرق مختلفـة في الأدب والأسـطورة والطقوس والحج إلى الأماكن التي حدثت فيها، إن الحوادث الأربع الأكثر أهمية هي ميلاده وتنويره والموعظة الأولى ووفاته.

ميلاد بوذا

يقال أن ميلاد البوذا (وهو ليس ببعيد عن ميلاد المسيح) أحيط بالمعجزات، وتصف النصوص اللاّحقة كيف أن والدة بوذا حلمت عند حمله بأن فيلاً رضيعاً أبيض دخل رحمها، ويصور هذا الحدث كما هو موضح في الشكل(١)، وقد فسر حلمها على أنها ستلد إما إمبراطوراً عظيماً أو معلماً دينياً كبيراً، وكما جرت العادة عندما يصل الحمل إلى نهايته فقد قامت مايا برحلة من كابيلافاتثو عاصمة الساكيان إلى منزل أقربائها لتضع طفلها هناك.

وعندما وصلت الملكة مع مرافقيها الى بستان جميل في لومبيني Lumbini جاءها المخاض وولدت وهي واقفة وممسكة بجذع شجرة sal، لقد قيل بأن قاطني الجنة



١- الحمل ببوذا : حلمت الملكة مايا والدة بوذا بأن بوذا دخل في جنبها على شكل فيل أبيض.

جاءوا ليشاهدوا هذا الحدث العظيم لأنّ مولد البوذا مناسبة عظيمة وسارة، لقد اهتزّت الأرض وقامت الآلهة بوضع الطفل على الأرض وغسله برذاذ معجز من الماء، وعلى الفور وقف الطفل الرضيع على قدميه وخطا بضع خطوات وصرح بأن هذه هي المرة الأخيرة التي سيولد فيها، وسمي الصبي سيد هاتثا غوتاما، وتعني سيدهاتثا (الشخص الذي حقق هدفه) بينما غوتاما اسم عائلة مأخوذ من اسم حكيم هندي قديم، وبعد سبعة أيام من مولده توفيت والدته فقامت خالته باجاباتي Pajapati التي أصبحت زوجة أبيه الثانية بتربيته.

وهناك تفاصيل قليلة في شرائع بالي حول طفولة بوذا، ولكن هناك انطباع بأنه عاش حياة مترفة ضمن أسوار قصور والده الثلاثة حيث خصص كل قصر لفصل من الفصول الثلاث في السنة الهندية، وارتدى الشاب ثياباً فخمة وتعطر بالعطور والتف حوله الموسيقيون والخدم الذين لبوا كافة طلباته، وقد يظن بأن مثل هذه الظروف قد تنتج (الطفل المدلل النموذجي) إلا أنه لا يبدو أن شخصية البوذا قد عانت من ذلك، فقد وصف بأنه طفل مبكر النضوج وذو ذكاء حاد ويتمتع بقوى فيزيائية كامنة.

الإشارات الأربع

على الرغم من أن حياة القصر كانت مريحة إلا أنها لم تكن مرضية، ولذا فقد تشوق بوذا إلى أسلوب في الحياة أعمق وأكثر إشباعاً لروحه، وتمثل الأساطير اللاحقة هذا السخط في قصة قام فيها بوذا بأربع زيارات في عربته خارج القصر، أما والده الشديد الحمايه له فقد كان دائم الخوف من أن يقوم ولده بمغادرة المنزل تحقيقا لقدره كمعلم ديني كما جاء في حلم مايا زوجته، ولذا فقد ملأ الشوارع بأناس أصحاء مبتسمين وأزاح كل العجزة والمسنين منها بحيث لا ينزعج سيدهاتزا من المناظر السيئة، ولكن وبالصدفة - أو بتدخل من الآلهة كما زعمت المصادر القديمة - فقد صادف بوذا رجلا عجوزاً، وقد صعق بوذا باكتشاف الشيخوخة وأمر مرافقيه أن يعودا فوراً إلى القصر حيث فكر بمغزى دخول الإنسان مرحلة الشيخوخة، وفي الزيارة الثانية صادف رجلاً مريضاً وفي الثالثة جثةً تحمل إلى مكان الحرق، لقد أثرت هذه التجارب فيه وعلى الأخص هذه الطبيعة المؤقتة والانتقالية

للوجود الإنساني وأدرك أنه حتى جدران القصر الشاهقة لن تستطيع أن تمنع الموت والألم من الدخول، وفي الزيارة الرابعة إلى الخارج التقى بوذا براهب متدين استلهم من فكره بأنه من الممكن التفتيش عن حل روحي لمشاكل الوضع الإنساني، وفي الليلة نفسها قرر بوذا أن يغادر القصر، وبعد أن ألقى آخر نظرة على زوجته وطفله النائمين غادر القصر ليصبح راهباً متجولاً.

من غير المحتمل أن تكون هذه القصة البسيطة والمؤثرة صحيحة حرفيا، ومن الصعب الاعتقاد بأن بوذا كان ساذجاً كما وصفته القصة أو أن خيبة أمله من حياة القصر كانت مفاجئة، وربما كان من الأجدى فهم القصة على أنها أمثولة تمثل فيها حياة القصر الكسل والتراخي وتمثل فيها رؤية الإشارات الأربع بداية الإدراك بطبيعة الحياة الإنسانية، ولو كان البوذا حياً اليوم فإنه سيرى هذه الإشارات الأربع في كل مكان، فكل شخص مسن وكل مشفى وكل جنازة تشير إلى قصر الحياة وهشاشتها، بينما ستكون كل كنيسة وكل راهب شاهداً على الاعتقاد بإمكانية إيجاد حل ديني لهذه المشاكل، ويبدو أن الحكاية تقترح بأنه على الرغم من أن الشواهد موجودة في كل مكان حولنا إلا أن معظم الناس - مثل بوذا الشاب- يبنون حواجز عقلية (مثل جدران القصر) لإبعاد الحقائق غير السارة عنهم، وحتى مع ذلك فهناك أوقات تفرض فيها وقائع الحياة غير السارة نفسها علينا بطريقة لا يمكن تجاهلها كما في المرض أو الوفاة كما حدث عندما خرج بوذا في عربته من القصر.

الزهد وهجر الملذات

متأثراً بتسكعه أخذ البوذا قراراً بالابتعاد عن الحياة العائلية والذهاب للبحث عن المعرفة الروحية، ولم يكن هذا القرار بدعة في الهند فقد كانت حركة السامانا Samana وهي حركة ثقافية معاكسة مؤلفة من رجال الدين الجوالين مؤسسة بشكل جيد في زمن بوذا، وقد اتخذ أناس كثيرون قراراً مماثلاً برفض العالم وأصبح بوذا متطوعاً جديداً ينضم إلى هذه المجموعة من الفلاسفة والباحثين الجوالين.

كان معلم بوذا الأول رجلاً إسمه (آتارا كالاما)، وقد علمه طريقة في التأمل Meditation منحته حالة عميقة من الاستغراق Trance، وكان بوذا تلميذا جيدا تمرس بسرعة بالقدرة على الدخول في حالة الاستغراق والغيبوبة المعروفة بـ (محيط العدم) والبقاء فيها، وقد سيطر البوذا بسرعة وعمق كبيرين على هذه الطريقة بحيث أن معلمه طلب منه أن يشاركه في قيادة المجموعة، غير أن بوذا رفض ذلك إذ على الرغم من أن التجربة كانت مريحة وهادئة إلا أنها لم تكن الحل الدائم الذي كان يبحث عنه، ففي نهاية الأمر يخرج المرء من هذه الحالة ويعود إلى حالة اليقظة العادية ليواجه من جديد المشكلات الأساسية المتمثلة في الولادة والمرض والشيخوخة والموت والتي تبقى دون حل.

تابع بوذا بحثه ودرس بعد ذلك تحت إمرة معلم آخر يدعى (أوداكا راما بوتا)، وقام هذا بتعليم البوذا طريقة أكثر رُقياً تسمح لمجربها أن يدخل في (محيط الإدراك واللا إدراك)، وهي حالة عقلية أكثر سمواً يبدو فيها الوعي نفسه وقد اختفى تقريباً، لقد أعجب أوداكا جداً بتلميذه بحيث أنه طلب أن يتتلمذ على يدي بوذا، ولكن بوذا رفض ذلك شاعراً بأن القدرة على الوصول إلى حالات روحانية وإشراقية جيدة من الوعي أمر جيد ومفيد ولكنه ليس الهدف الذي يبحث عنه.

وبعد هذه التجارب من التأمل حول بوذا اهتمامه إلى طرق من نوع مختلف، وتشمل هذه الطرق التقشف الشديد والتي كان هدفها إخضاع الشهوات والعواطف، وقد جرب البوذا أولاً تمريناً يتحكم بموجبه بالشهيق والزفير ويضمن الاحتفاظ بالنفس لمدةٍ أطول فأطول من الزمن، وبدلاً من خلق معرفة روحانية فقد نتجت عن ذلك أوجاع شديدة في الرأس، وبعد ترك هذه الطريقة جرب بوذا طريقة ثانية تشمل تقليص الغذاء إلى كميات ضئيلة مؤلفة من ملعقة واحدة من حساء العدس في اليوم، ولكنه بعد فترة قصيرة أصيب بالهزال وأصبح غير قادر على الجلوس منتصباً وبدأ شعره بالتساقط، لقد أصبح جليا له أن هذا النوع من التعذيب الذاتي لن يعطي النتائج المرجوة ولذا فقد تركه، ومع ذلك فلم تكن تجارب البوذا ورحلاته عديمة الفائدة تماما لأنها علمته ان المبالغة في اي شيء غير فعال، لقد كانت حياته الأولى من

الاستمتاع بالملذات غير مرضية كما كانت تجربته خلال ستة أعوام في الزهد والتقشف كذلك، لقد بدأ يدرك أن المنهج الأكثر فاعلية هو (طريقة وسطى) بين مبالغات من هذا النوع، ولذا فإن طريقة الحياة الأفضل ستكون في الاعتدال حيث لا تنكر الشهوات ولا تعطى ما تريد.

التنوير Enlightment

بالعمل بهذا المبدأ بدأ بوذا مرة أخرى بتناول الطعام وعاد إلى تجربة التأمل، وقد أحرز الآن تقدماً سريعاً، وفي ليلة واحدة جلس فيها تحت شجرة ضخمة عرفت بعد ذلك بـ (شجرة بوذا) حصل على حالة اليقظة التامة التي بحث عنها، فخلال المراقبة الأولى من الليل حصل على القدرة على تأمل حيواته السابقات ووصفها بشكل كامل، وفي المراقبة الثانية من الليل حصل على القدرة التنبؤية التي سمحت له برؤية موت كل أشكال الحياة في الكون بحسب أفعالها الخيرة والسيئة وولادتها من جديد، وخلال فترة المراقبة الثالثة حصل على المعرفة بأنه قضى على كل الأدران الروحية واجتث كل الشهوات والجهل للأبد، **(لقد فعل ما يجب فعله) وحصل على النيرفانا وأنهى حالة التناسخ بالنسبة له كما تُنبئَ بذلك عندما كان ولداً.**

إن المكان الذي حصل فيه البوذا على العرفان معروف باسم بود غايا Bodh Gaya، وقد بقي البوذا هناك سبعة أسابيع يفكر في مستقبله، لقد تساءل حول ما إذا كان سيصبح معلماً دينياً ولكنه امتنع عن ذلك بسبب صعوبة إيصال التجربة العميقة التي حصل عليها إلى الناس، ولبرهة من الزمن مال إلى العزلة والحياة المنفردة، ولكنه بإتباع طلب من أحد الآلهة (تمتلك البوذية مجموعة غنية من الآلهة تشبه إلى حد ما الملائكة في المسيحية) فقد تعاطف مع الطلب وقرر أن يصرح بتعاليمه أو الدارما إلى العالم، وعندما أدرك بواسطة قواه الروحية أن معلميه السابقين قد توفيا سافر إلى بينارس على نهر الغانج حيث علم أنه سيلقى مع مجموعة من زملائه السابقين الذين تركوه عندما رفض مبدأ التقشف.



٢- البوذا يحصل على التنوير : يصور البوذا هنا في وضعية زهرة اللوتس مباشرة بعد أن حصل على التنوير. إنه يدعو الكرة الأرضية إلى مشاهدة إنجازه عن طريق لمسها بيده اليمنى.

الموعظة الأولى ومهنة التعليم

عند وصوله إلى حديقة مخصصة للغزلان الملكية قرب بينارس رحب زملاؤه السابقون به بعد بعض التردد في البدء لأنهم أدركوا بسرعة التحول الذي حدث له، وأعلن البوذا نفسه تاثا غاتا Tathagata (**الشخص الذي حصل على الحقيقة**) وألقى موعظته الأولى، وهو حدث مهم في تاريخ البوذية، لقد حفظت الموعظة الأولى على شكل محادثة سوتا sutta دعيت (تحريك عجلة الدارما)، وتحتوي الموعظة على التعاليم الأساسية للبوذا معروضة في صيغة تعرف بالحقائق النبيلة الأربعة والتي

ستناقش بتفصيل أكبر في الفصل الرابع، إن العجلة أو الدولاب رمز مهم في البوذية وغالباً ما يستخدم لتمثيل الدارما، لقد كانت الموعظة الأولى الحدث الذي أعطى دفعاً أولياً لعجلة الدارما لتدور وهي العجلة التي ستدور إلى الأمام بدون توقف لتنشر البوذية في آسيا.

عند سماع الموعظة الأولى أدرك أحد أعضاء الجمهور المستمع الحقيقة مباشرة وأصبح (داخل التيار) أو الشخص الذي حصل على شهادة أولية بالعرفان الروحي، ومع استرسال البوذا في شرحه حقق رجال الدين الأربع المتبقون هذه الحالة أيضاً، وأصبح الرجال الخمسة تلاميذه ومنحوا مرتبة القديسين في حفل بسيط، وبعد سماع موعظة بوذا الثانية حصل رجال الدين الخمسة على العرفان الكامل أو التنوير، وقد عرف هؤلاء وآخرون مثلهم بالقديسين آرهات Arhat وليس بالبوذا، فلقد حجز مصطلح البوذا للشخص الذي يكتشف طريق العرفان أو التنوير بنفسه وليس عن طريق تلقيها من شخص آخر.

وانتشرت التعاليم بسرعة وبعد وقت قصير حصل عدد كبير من الناس على التنوير، وتتحدث النصوص القديمة عن حوالي ستين قديساً كلفهم بوذا بالسفر كمبشرين لتعاليمه نتيجة تعاطفه مع العالم، وبعد خمس سنوات عندما استقر نظام الرهبان خطرت لبوذا فكرة تأسيس نظام مكافئ للراهبات، وبالرغم من تردده الأولي (حيث كان نظام الرهبان جديداً ونظام الراهبات أمراً غير معروف تقريباً) إلا أن البوذا وافق أخيرا، ولم يزدهر نظام الراهبات بالدرجة نفسها التي ازدهر بها نظام الرهبان، وبشكل عام فإن كلمة سانغا Sangha تشير اليوم بشكل رئيس إلى نظام الرهبان، وهناك قليل من التفاصيل حول النصف الأخير من حياة بوذا.

ومن الواضح أن وقته كان مشغولاً بالترحال على الأقدام إلى البلدان والقرى في شمال شرق الهند مخاطباً الجمهور من أنواع مختلفة ومن أديان وبيئات اجتماعية ومستويات اقتصادية متفاوتة، لقد غطى برحلاته مقاطعات بطول ١٥٠ ميلاً وعرض ٢٥٠ ميلاً، وهي مساحة أصغر بقليل من إيرلندة أو مقاطعة بنسلفانيا، وغالباً ما يصور البوذا أمام الجمهور وهو يعطي تعاليمه ويجيب على أسئلتهم ويشترك في



٣- الموعظة الأولى : يشير بوذا إشارة العجلة التي تمثل الموعظة الأولى وتعرف ب (تحريك عجلة الدارما " وتظهر الصورة العجلة في المركز وغزال على كل طرف يمثلان الغزلان في حديقة بينارس حيث ألقيت الموعظة.

النقاش مع أناس من كافة مشارب الحياة، لقد كانت طريقته مؤدبة وهادئة دوماً، ويشهد العديد من المتحولين إلى مذهبه والمذكورين في النصوص على قدراته على الإقناع وعلى جاذبيته الشخصية، ويوصف أحياناً على أنه يصنع المعجزات وهي قدرة تعود إلى قواه الروحية التي طورها من خلال التأمل، ومع ازدياد شعبيته وتضخم عدد

أتباعه أصبحت هناك مقرات سكنية يقيم فيها الرهبان لجزء من العام وخاصة خلال الفصل الماطر حيث يصبح السفر صعباً، وقد منحت هذه الأماكن السكنية إلى نظام الرهبنة من قبل الملوك والأغنياء لتتطور مع مرور الزمن إلى مؤسسات دائمة عرفت باسم الأديرة (فيهاراس) viharas.

وفاة بوذا :

يقدم نص هام معروف باسم (حادثة الموت العظيم) وصفاً للحوادث في الأشهر القليلة قبل وفاة بوذا، لقد أصبح عمره ٨٠ عاماً وتدهورت صحته ولكنه استمر في ترحاله على الأقدام كما فعل طيلة حياته معتمداً على قواه العقلية لكبح تأثيرات ضعفه، وفي هذه الأثناء ظهرت قرارات هامة يجب اتخاذها حول المستقبل، هل سيُعيّن خليفةً له ؟ من سيقود النظام بعد وفاته ؟ وفي حديثه مع ابن عمه وخادمه الشخصي المخلص آنادا ذكر بوذا أنه لا حاجة لخليفة له لأنه لم يعتبر نفسه أبداً (قائداً أو رئيساً لنظام)، وبدلاً من ذلك يجب أن تكون الشريعة أو الدارما هي الموجه بعد وفاته، وعلى الرهبان أن يتمسكوا بها وبالفينايا Vinaya وهي مجموعة القواعد التي وضعها لتنظيم حياة الرهبان في الأديرة، وأكثر من ذلك فقد نصح بأن يفكر كل شخص بنفسه في مسائل العقيدة وأن يقاطع الآراء والأفكار حول النصوص قبل تقرير قبولها، وبإتباع نصيحة بوذا لم يظهر في البوذية أبداً مركز للسلطة في قضايا العقيدة ولا مؤسسة أو هيئة مخولة بدمج العقائد والآراء بالنسبة للدين ككل.

مات بوذا في بلدة صغيرة تدعى كوسينام Kusinam مضطجعاً على جانبه الأيمن بين شجرتي Sal وصفتا في النصوص بأنهما أزهرتا بمعجزة في غير ميعادهما، وبالرغم من أنه غالباً ما يقال بأنه مات من تسمم غذائي بعد أكله وجبة من لحم الخنزير قدمت له من قبل تابع له فمن الواضح من الوصف في حادثة الموت العظيم بأنه تعافى منها وأن موته حدث بعد ذلك بقليل لأسباب طبيعية، لقد أمر أن تحرق بقاياه وأن يعامل معاملة ملك عظيم بوضعها في مقام على شكل جرس، يعرف باسم ستوبا stupa يمكن أن يستخدم للعبادة وتقديم القرابين، وقبل موته بزمن قصير دعا بوذا الرهبان وأعطاهم فرصة لتوجيه أسئلة نهائية له ولكنه لم ينل أي سؤال مما

يعني أنه بحلول ذلك الوقت فإن تعاليمه شرحت بالكامل وفهمت أيضاً من قبل أتباعه، وبعد ذلك تلفظ بوذا بكلماته الأخيرة (**التلف كامن في كل الأشياء، تأكدوا من المحاولة بعقل منفتح من أجل النيرفانا**) ثم بكل هدوء واتزان دخل في مستويات عدة من مراحل التأمل قبل أن يدخل في حالة النيرفانا النهائية.

الفصل الثالث

الكارما أو الولادة المجددة

تشير النصوص إلى أن بوذا حصل في ليلة الكشف أو التنوير على القدرة على تذكر حيواته السابقات، ويقال أنه لم يتذكر واحدة أو اثنتين فقط وإنما عدداً كبيراً مع تفاصيل اسمه وطبقته ومهنته وغير ذلك في كل حياة، وذكر بوذا في مكان آخر أنه تذكر من الماضي حتى ٩١ أيوناً حيث يساوي الأيون حياة مجموعة شمسية تقريباً، وبالرغم من أن العقيدة البوذية تقول بأنه من غير الممكن معرفة بداية عملية التناسخ الدائرية أو نهايتها بالتأكيد فمن الواضح أن عدد المرات التي يولد فيها الشخص من جديد لانهائي تقريباً، وتعرف هذه العملية من الولادة المجددة باسم سامسرا Hki samsra, ki juhtn lk hglvq

أو (التجوال المستمر) وهو مصطلح يقترح تحركاً مستمراً شبيهاً بتدفق النهر، إن كل المخلوقات الحية جزء من الحركة الدائرية وسوف تستمر في الولادة من جديد حتى الحصول على النيرفانا.

لم تبدأ فكرة التناسخ **reincarnation** مع البوذية فقد وجدت في الهند لقرون عديدة قبل زمن بوذا، ويشترك في هذا الاعتقاد عدد من الحضارات، وكان هذا المعتقد شائعاً في الغرب القديم قبل أن يعرف بأنه غير منسجم مع العقيدة المسيحية

في القرن السادس الميلادي، ولكن الأفكار الهندية حول عقيدة الولادة المجددة مميزة عن غيرها بسبب ارتباطها بعقيدة الكارما karma والتي تقول بأن ظروف الولادة المجددة في المستقبل تتعلق بالتصرفات الأخلاقية للشخص في حياته، إن الكارما (في البالية كاما) ذات أهمية رئيسة للفكر البوذي، ومن أجل فهمها يجب استكشاف مجموعة من الأفكار الأخرى المتعلقة بها حول الزمن والكون.

الكون البوذي

يقسم الفكر البوذي الكون إلى صنفين : **الكون الفيزيائي** والذي يعتبر (حاوية أو وعاء bhajama **والمخلوقات أو أشكال الحياة** التي تعيش ضمنه suttva)، ويتشكل الكون الفيزيائي من تفاعل خمسة عناصر وهي الأرض والماء والنار والهواء والفضاء akasa، إن آخر عنصر وهو الفضاء - والذي يعتقد أنه لانهائي – يعتبر في الفكر الهندي ليس مجرد عدم وجود العناصر الأربعة ولكنه عنصر مستقل بحد ذاته، وتتطور من تفاعل هذه العناصر الخمسة مع بعضها (أنظمة العالم) (بشكل تقريبي معادل للفكرة الحديثة حول المجموعة الشمسية) والتي توجد خلال الاتجاهات الستة للعالم (شمال وجنوب وشرق وغرب وفوق وتحت).

وتخضع أنظمة العالم هذه لدورات من **الولادة والموت** تدوم بلايين السنين، فهي تأتي للظهور وتبقى لفترة من الزمن ثم تتفكك تدريجياً وببطء قبل أن تفنى من خلال كارثة ضخمة، وبمرور الوقت تتطور مرة أخرى لتكمل دورة كبيرة تعرف باسم (الأيون العظيم)، وبالطبع فإن المخلوقات التي تسكن الكون الفيزيائي ليست بمعزل عن التأثر بهذه الأحداث، وبالفعل فهناك اقتراح بأن الحالة الأخلاقية للسكان هي التي تقرر مصير النظام العالمي، وسوف يتدهور عالم مسكون من أناس جهلة وأنانيين بسرعة أكبر من عالم مسكون من أناس حكماء وفاضلين، إن هذه الفكرة وهي أن المخلوقات ليست راعية لبيئتها فقط وإنما هي بمعنى ما تخلقها ذات معان هامة بالنسبة للتفكير البوذي في البيئة.

لقد أصبح من الواضح أن الكونية البوذية تختلف في نواح هامة عن التفكير الديني في الغرب، ويوصف الخلق في سفر التكوين على أنه حدث فريد، كما ينص

الإنجيل على أن العالم سينتهي يوم الحساب، وبين هذين الحدثين فتحت نافذة انتقالية من الزمن مُثلت فيها دراما فريدة وهي السقوط والخلاص، هذه الدراما هي التي تمثل (التاريخ) الذي يعتبر مساره خطياً ويتقدم بأحداث متتابعة نحو الأمام، وفي هذه الدراما (حيث تستبدل النسخة العلمانية منها الخلاص بالتقدم) فإن قضايا البشر هي دوماً محور الاهتمام، ولا يرى هذا الشيء بصورة أوضح من كونية كوبرنيكوس التي تجعل الأرض في بؤرة الكون، ولكن النظرة الهندية ترى في هذا تركيزاً على الإنسان وتعظيماً له، فالأرض أبعد ما تكون عن المحور الذي يدور حوله الكون، والبشر ليسوا اللاعبين الوحيدين على مسرح الأحداث، وينظر إلى الزمن على أنه دائري بدل أن يكون خطياً، وليس للتاريخ اتجاه محدد أو هدف معين وإنما يتألف من أنماط متشابهة من الأحداث التي قد تكرر نفسها مرات عدة.

وتحكي أسطورة الخلق البوذية الموجودة في Agganna Sutta قصة مختلفة عن قصة سفر التكوين، وتصف الأسطورة كيف أن سكان نظام عالمي دمر يولدون تدريجياً من جديد ضمن عالم جديد يتشكل، وفي البداية تكون أجسادهم شفافة وليس هناك فرق بين الجنسين، وبينما يصبح نسيج النظام العالمي الجديد أكثر كثافة تنجذب هذه المخلوقات التي تشبه الأشباح لبعضها البعض وتبدأ في استهلاكه كطعام، وتدريجياً تصبح أجسادها أقل هوائية حتى تشبه أجسامنا الفيزيائية اليوم، ويؤدي التنافس على الغذاء إلى الصراع ولذا ينتخب الناس ملكاً لحفظ الأمن، وهو حدث يحدد بداية الحياة الاجتماعية، وبالرغم من أن هذه الأسطورة قد تكون بمثابة حكاية هجائية للمجتمع البشري اليوم أكثر منها قصة خلق الكون فإنها تقدم قصة مغايرة لقصة سفر التكوين، وبينما يعزو التقليد اليهودي- المسيحي سقوط الإنسان إلى كبريائه وعصيانه فإن البوذية تحدد بداية العذاب البشري في الرغبة.

الحقول الستة للولادة المجددة

ضمن النظام الكوني للبوذية فإن هناك حقولاً مختلفة للولادة المجددة، وتعطي المصادر القديمة خمسة حقول بينما تضيف المصادر المتأخرة لها حقلاً جديداً وهو

حقل التيتان بحيث تصبح كلها ستة حقول، وهذا هو المخطط الذي سأتبناه هنا، إن الحقول الستة موضوع محبب في الفن البوذي وتوصف غالباً بأنها عجلة الحياة، وتصنف الحقول الثلاثة الواقعة تحت خط المركز بأنها سيئة بشكل خاص، ويشبه هذا الترتيب إلى حد ما النسخة الموسعة للنظام المسيحي التقليدي للجحيم والعذاب والأرض والجنة مع الفارق بينهما في أن الشخص في البوذية يمكن أن ينتقل مرات عدة من حقل لآخر، وتقسم الجنة البوذية المبينة في أعلى الشكل من قبل مصادر متأخرة (بعد القرن الخامس) إلى ٢٦ مستوى مختلفاً أو إلى (مساكن)، ولذا فعند إضافة الحقول الخمسة يمكن الوصول إلى ٣١ مستوى كهدف للولادة المجددة.

إن الطريقة الأسهل لفهم هذا الترتيب هي التفكير فيها على أنها بناية مؤلفة من ٣١ طابقاً، وفي أسفل البناية هناك الجحيم – وهو مكان العذاب حيث تعذب المخلوقات نتيجة الشرور التي اقترفوها في حياتهم السابقة – وأثناء وجودهم في النار يتعرضون لأنواع مختلفة من العذاب – وغالباً ما تصور بشكل أوضح في الفن الشعبي– مثل الغلي في الزيت أو قطع الأطراف، إن الجحيم البوذي (وبشكل أدق الجحيمات البوذية لأن هناك عدداً منها) يختلف عن الجحيم المسيحي في ناحيتين: **الأولى هي أنها ليست مكاناً للاستقرار النهائي** ومن هذه الناحية فهي تتفق أكثر مع نظرية التطهير المسيحي، وإنما هي حالة انتقالية حيث يطلق الإنسان من الجحيم عندما تنتهي الكارما التي أرسلته إليها، والاختلاف الثاني هو أن هناك في البوذية جحيمات ساخنة وأخرى باردة، وفي الثانية تعذب المخلوقات بالتجميد بدلاً من الشوي.

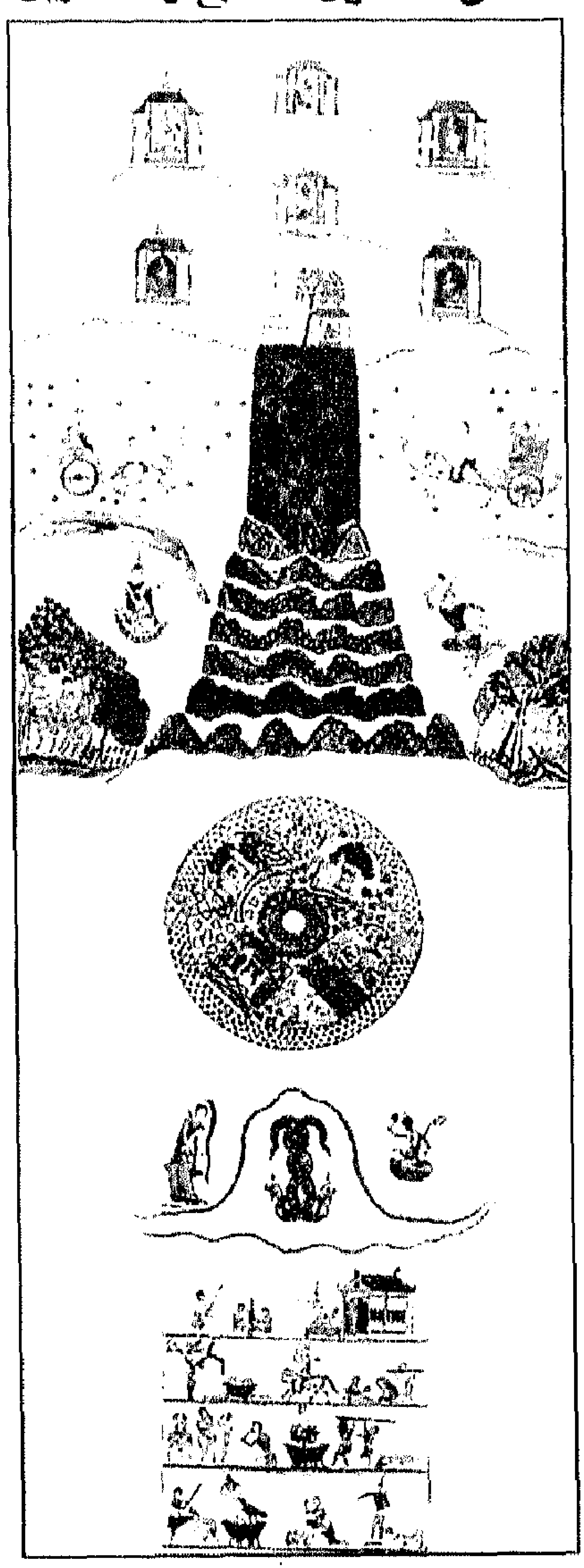
وفوق حقل الجحيم مباشرة هناك حقل الحيوانات، إن الولادة المجددة على شكل حيوان أمر غير مرغوب للأسباب المعروفة، فالحيوانات محكومة بغرائزها المتوحشة وتفتقر إلى القدرة العقلية على فهم طبيعة واقعها أو عمل أي شيء لتحسينه، وهي تصطاد من قبل البشر والحيوانات المفترسة الأخرى، وفوق حقل الحيوانات هناك حقل الأشباح، وهذه عبارة عن أرواح غير سعيدة تحوم حول أطراف عالم البشر ويمكن رؤيتها أحياناً على شكل أشباح، وفي الغالب فإن هؤلاء عبارة عن بشر سابقين طوروا روابط قوية تشدهم إلى الأرض، وتستهلكهم شهوات لا

يمكنهم إشباعها مطلقاً ويوصفون في الفن الشعبي على شكل مخلوقات تشبه الـ wraith ببطون منتفخة وأفواه صغيرة تمثل جوعهم ونهمهم الدائمين، ويعود الحقل الرابع للتيتانات وهم صنف من المخلوقات الشيطانية التي تحب القتال والعنف، وهم يبحثون باستمرار بسبب شهوتهم للقوة عن الحروب التي لا يشبعون منها، وفي الحقل الخامس هناك عالم البشر، إن الولادة المجددة على شكل إنسان أمر مرغوب جداً ولكنها صعبة التحصيل، وبالرغم من وجود عدد من المستويات الأعلى التي يمكن تحقيق الولادة المجددة فيها إلا أنه يحتمل أنها تشكل عائقاً أمام التقدم الروحي، فالولادة المجددة على شكل إله في جنة مثالية يمكن أن تجعل المرء كسولاً وأن يفقد الحاجة للجد والعمل من أجل الحصول على النيرفانا، وبالمقابل فإن الوجود الإنساني يقدم تذكيراً مستمراً بمشاكل الحياة (على سبيل المثال الإشارات الأربع التي رآها البوذا مثل الشيخوخة والمرض والموت والولادة) وأيضاً الفرصة للبحث عن حل دائم لها، ويمتلك البشر العقل والتفكير والإرادة الحرة ويمكنهم استخدامها لفهم الدارما وتطبيق تعاليم بوذا، ولذا ينظر إلى الحياة كبشر على أنها (الطريقة الوسطى) لتقديم توازن ملائم بين اللذة والعذاب.

إن الطوابق الـ ٢٦ العلوية هي مناطق سكن الآلهة، وتعرف السماوات الخمس العليا (المستوى ٢٣-٢٧) بالمساكن الطاهرة ويمكن الحصول عليها من أولئك المعروفين بـ (عدم العائدين) فقط، وهم مخلوقات على وشك الحصول على التنوير والذين لن يولدوا مجدداً كبشر، أما الآلهة تحت هذه المستويات فهم ببساطة مخلوقات أو كائنات يتمتعون بسبب أفعالهم الخيرة بحالة من الانسجام والطمأنينة، ومع ذلك فهم معرضون للكارما ويولدون من جديد شأنهم شأن أي شخص آخر، أما المستويات الأعلى من الجنان فهي أكثر سمواً ويزداد عمر الآلهة في كل مرحلة ليصل إلى بلايين السنين مقاسة بزمن البشر، ومع ذلك فإن الزمن نسبي ويدرك بصورة مختلفة من المخلوقات المختلفة، فعمر البشر على سبيل المثال يبدو كيوم واحد من عمر الآلهة في المستويات الأدنى.

المحيطات الثلاثة للوجود

إن فكرة الحقول الستة والمستويات الواحد والثلاثين تتقاطع مع مفهوم آخر للكون مقسم إلى ثلاثة محيطات، إن المحيط الأدنى من هذه هو (محيط الرغبات الحسية) الذي يتضمن كل المستويات حتى المستوى السادس بعد عالم البشر، وبعده هناك محيط النقاء وهو يمثل حالة روحانية نادرة يفكر فيها الآلهة ويتواصلون بالتخاطب عن بعد وهي تمتد حتى المستوى السابع والعشرين، وأعلى هذه المحيطات



٤- الكون البوذي : تمثل الدائرة في الوسط سطح لأرض المنبسط والذي اعتُقدَ أنه يحمل أربع قارات كبيرة بأحجام مختلفة. وفوق هذه جنات تسكنها الآلهة وفي الأسفل أنواع من الجحيم والحقول الأخرى للعذاب.

هو محيط اللاشكل وهي حالية متسامية جداً وصعبة الوصف فهو فوق كل الأشكال والأحجام حيث توجد الكائنات على شكل طاقة عقلية صرفة، وتفهم الآلهة الموجودون في المستويات الأربع في محيط اللاشكل الظاهرة بأربع طرق متزايدة التعقيد : في السفلى (المستوى ٢٨) على أنه كون لا متناه، وفي الثانية (المستوى ٢٩) على أنه وعي لا متناه، وفي الثالث (المستوى٣٠) على أنه (عدم) أو أن التعقيد الشديد لهذا النوع من الوجود قريب جداً من اللاوجود، وأخيراً بترك حتى التفكير في العدم.

	مستوى التأمل		المستوى
مجال اللاشكل	٨	لاإدراك ولا لا إدراك	٣١
	٧	العدم	٣٠
	٦	وعي لاامتناه	٢٩
	٥	فضاء لاامتناه	٢٨
مجال الشكل الخالص	٤ ٣ ٢ ١	الآلهة العليا	٢٧ . . ١٢
مجال الرغبات الحسية		الآلهة السفلى	١١ . ٦
		البشر	٥
		التيتان	٤
		الأشباح	٣
		الحيوانات	٢
		الجحيم	١

مخطط يمثل كون البوذية ويظهر ٣١ مستوى و٣ مجالات من الوجود و٨ مستويات من التأمل (جهانا)

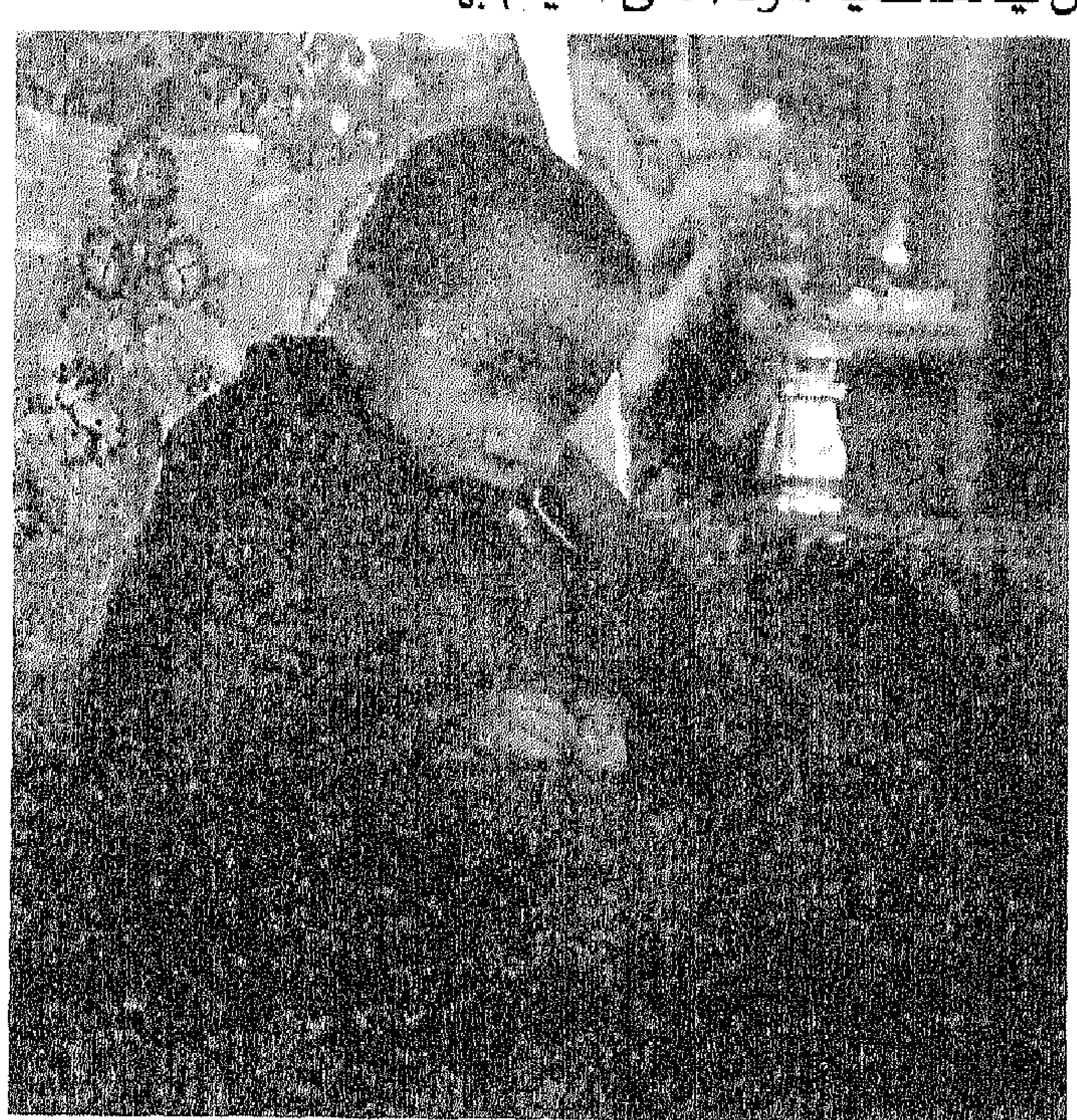
تنشأ حالة فوق الوصف للعقل توصف (بأنها ليست إدراكاً ولا عدم إدراك) المستوى ٣١ وهي أعلى حالة يمكن لأي كان أن يولد فيها، وإذا كانت أسماء الحالتين الأعلى تبدو معروفة فلأنها تحمل الأسماء نفسها لحالات التأمل التي حصل عليها

بوذا تحت إشراف معلميه، لقد حصل البوذا على طريق لهاتين الحالتين بالتحول نحو (الترديد) من خلال التأمل، وكما سنرى فإن آراء البوذا حول الكون مرتبطة بنظرية التأمل.

الكارما

تعمل الكارما في النظرية المشروحة مسبقاً عن الكون عمل المصعد الذي يأخذ الناس من طابق لآخر في البناء، فالأعمال الخيرة تحرك الإنسان نحو الأعلى والأعمال الشريرة تهبط به للأسفل، وليست الكارما نظاماً للثواب والعقاب من قبل الإله ولكنها نوع من القانون الطبيعي أشبه بقانون الجاذبية، وبالتالي فإن الأفراد هم المسؤولون الوحيدون عن مصيرهم الجيد أو السيئ، وحسب الاستخدام الشائع ينظر للكارما ببساطة على أنها الأشياء الجيدة والسيئة التي تحدث للبشر تماما مثل الحظ الجيد والسيئ، إن المعنى الحرفي للكلمة السنسكريتية كارما هو (الفعل)، ولكن الكارما كمفهوم ديني لا يتعلق بأية أفعال ولكنه يتعلق بأفعال من نوع خاص، فالأفعال الكارمية هي أفعال (أخلاقية)، وقد عرف البوذا الكارما بالإشارة إلى الخيارات الأخلاقية والأفعال التي تنجم عنها، وقد صرح قائلا (أيها الرهبان، إنها خيارات تلك التي ادعوها كارما يقوم بها الشخص بعقله ولسانه وجسمه)، إن الأفعال الأخلاقية مغايرة للأفعال الأخرى في أن للإثنين طبيعة مؤقتة ودائمة، ويسري التأثير الانتقالي في التأثير المباشر للأفعال الأخلاقية على الآخرين، وعلى سبيل المثال عندما نقتل أو نسرق فإن شخصاً ما سيفقد حياته أو ممتلكاته من جراء ذلك، ويلاحظ التأثير غير الانتقالي في الطريقة التي تؤثر فيها الأفعال الأخلاقية على الشخص، وبحسب البوذية فإن البشر يملكون إرادة حرة ويمارسون تقرير مصيرهم من خلالها، وبالحقيقة فإن الأفراد يصنعون أنفسهم من خلال خياراتهم الأخلاقية، فعن طريق اختيار بعض الأشياء بشكل حر ومتكرر يشكل الفرد شخصيته ومن خلالها مستقبله، وكما يقول المثل (ازرع عملاً تحصد عادة، وازرع عادة تحصد شخصية وازرع شخصية تحصد مصيراً).

وتشرح البوذية هذه العملية بحسب مصطلح سانغراس، وهو مصطلح صعب يترجم عادة بـ (تشكيل الذهن)، وهي خصائص الشخصية ومواصفاتها التي تتشكل عندما تتخذ الخيارات الأخلاقية وتعطي تأثيرها في الواقع، ويمكن تشبيه العملية بعمل صانع الفخار الذي يحول الطينة إلى شكل نهائي، فالطينة هي شخصية الإنسان وعند اتخاذ خيارات أخلاقية فإننا نمسك قدرنا بأيدينا ونشكل طبيعتنا خيراً أم شراً، وليس من الصعب رؤية كيف أنه حتى ضمن مسيرة حياة شخص واحد فإن نماذج معينة من التصرف تسبب بشكل غامض نتائج معينة، وتظهر الأعمال الأدبية الكبيرة كيف أن القدر الذي يصيب الأشخاص لا يأتي بمجرد الصدفة أو الحظ السيئ ولكنه ينجم عن خلل في الشخصية يؤدي إلى سلسلة مؤسفة من الأحداث، ويشار إلى التأثيرات بعيدة المدى للخيارات الكارمية بأنها (الثمار) فيباكا للفعل الكارمي، وهذا التشبيه زراعي فأداء الأفعال الخيرة والشريرة يشبه زرع البذور التي تعطي ثمارها بعد وقت، ويرى البوذيون أن النتائج المأساوية لغيرة عطيل وطموح ماكبث لشديد وتردد هاملت وشكه بنفسه هي الثمرة الحتمية للخيارات التي دفعت النقائص في شخصية هؤلاء على القيام بها.



٥- صبي صغير يميز على أنه منتسخ من لاما التيبت خينصور ريمبوش.

ولا تختبر كل نتائج ما يقوم به الإنسان خلال حياته التي يقوم فيها بهذه الأعمال، فالكارما التي تراكمت ولكنها لم تجرب بعد تنتقل إلى الحياة التالية أو حتى إلى حيوات أخرى لاحقة، ويختلف البوذيون في كيفية حدوث هذا الشيء ولكن أحد الاحتمالات هو أن أداء الخير مثل شحن بطارية بطاقة كارمية تخزن بعد ذلك للمستقبل، وتعتبر بعض النواحي الرئيسة في ولادة جديدة للشخص بأنها مقررة كارميا، وتشمل هذه النواحي العائلة التي يولد فيها وحالته الاجتماعية ومظهره الفيزيائي وبالطبع شخصيته ونفسيته لأن هذه تنتقل ببساطة من حياته السابقة، ويتبنى بعض البوذيون وجهة نظر قدرية ويرون أن كل قدر من الحظ الجيد أو السيئ يعود إلى سبب كارمي، ولكن عقيدة الكارما لا تدعي أن كل ما يحدث للشخص مقرر كارمياً، وقد تكون كثير من الأشياء التي تحدث في الحياة مثل ربح اليانصيب أو كسر الرجل مجرد حوادث، ولا تقرر الكارما بالتحديد ماذا سيحدث أو كيف سيتفاعل أي شخص مع ماذا سيحدث، فالأفراد أحرار في مقاومة التشكيل السابق وتشكيل أنماط جديدة من التصرف وهذا هو بالفعل فحوى أن تصبح بوذياً.

ما الذي يجعل العمل خيراً أم شراً؟ من تعريف البوذا السابق يمكن رؤية أنها قضية نية وخيار، إن الينابيع النفسية للدافع موصفة في البوذية على أنها (الجذور)، ويقال بأن هناك ثلاثة جذور للخير وثلاثة أخرى للشر، فالأفعال المحرضة بالجشع والكراهية والوهم شريرة (**اكوسالا**)، بينما الأفعال المحرضة بعكس ذلك مثل الحياد والإحسان والتفهم هي أفعال خيرة (**كوسالا**)، ومع ذلك فالتقدم نحو التنوير لا يتم بالنوايا الطيبة فقط، فالشر يقترف أحياناً من قبل أشخاص يمتلكون نوايا طيبة، ولذا يجب أن تجد النوايا الطيبة تعبيرها في الأفعال الخيرة، وتعرف الأفعال الخيرة بأنها تلك التي لا تسبب الأذى للشخص نفسه أو للآخرين، إن الأفعال التي لا تحقق هذه المتطلبات محرمة في النواحي المختلفة من الإدراك وسنقول المزيد عنها عند مناقشة الأخلاق.

الحسنات

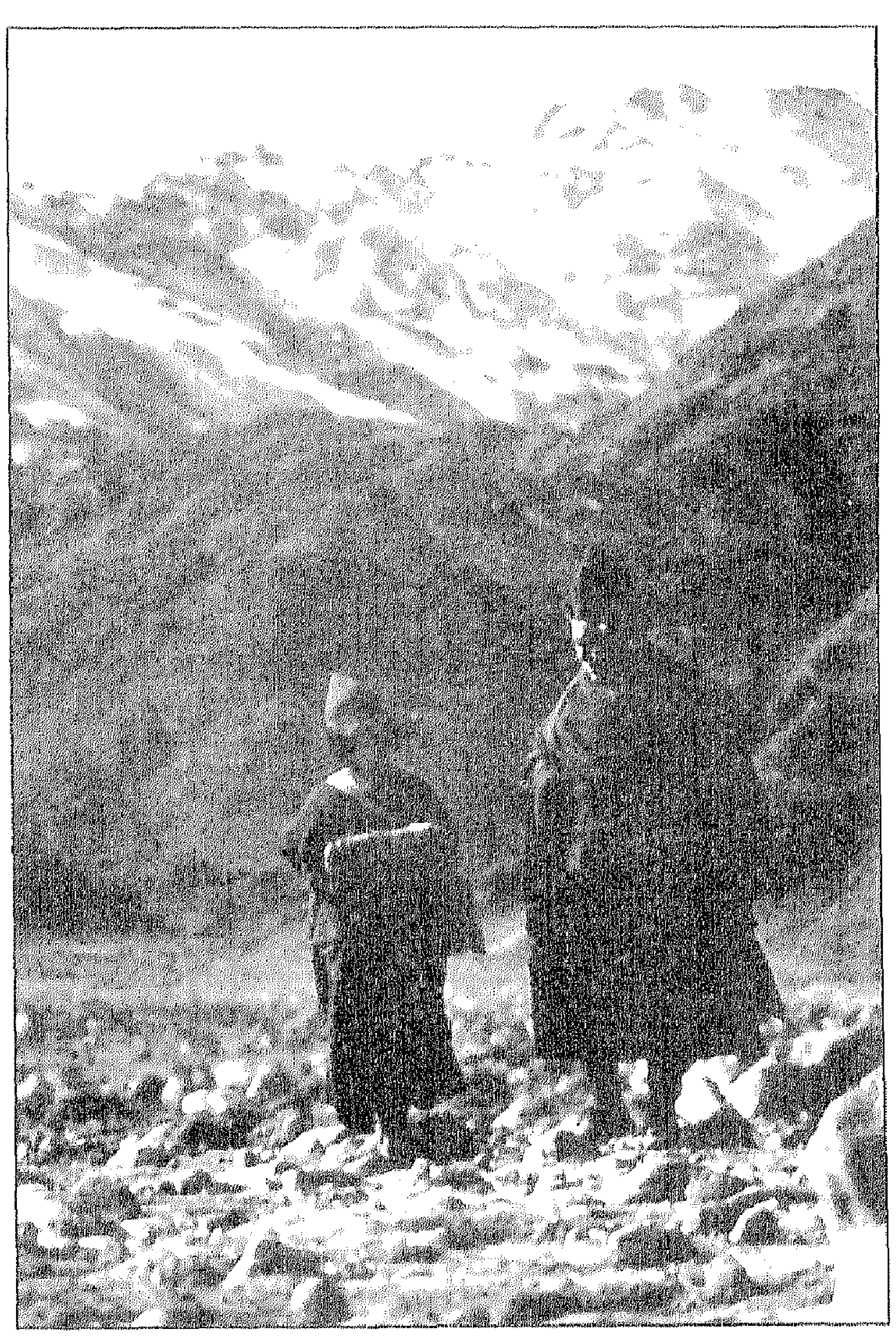
يمكن للكارما أن تكون جيدة أو سيئة، ويصف البوذيون الكارما الجيدة بأنها حسنات (بونا) ويجب صرف جهد كبير للحصول عليها، وينظر إليها البعض على أنها نوع من (الراسمال الروحي)، – مثل النقود في الحساب المصرفي – حيث يتراكم الإيداع على شكل رصيد من أجل ولادة مجددة خيرة، إن أحد أفضل الطرق للحصول على الحسنات بالنسبة للعوام هو دعم نظام الرهبنة، ويمكن إجراء ذلك بوضع الطعام في أطباق الرهبان عند مرورهم في جولاتهم اليومية لجمع الزكاة، وبتزويدهم بالملابس والاستماع إلى مواعظهم وحضور المراسم الدينية والتبرع بالمال لصيانة الأديرة والصوامع، ويمكن الحصول على الحسنات حتى بمجرد مدح المانحين الآخرين والسرور بكرمهم، ويجعل بعض البوذيين جمع الحسنات غاية في حد ذاتها ويذهبون حتى الحدود القصوى بحمل دفتر يسجلون فيه رصيدهم الكارمي، ولكن هذا العمل لا يرى حقيقة أن إحراز الحسنة شيء ثانوي لفعل الخير، – إن فعل الخير من أجل الحصول على كارما جيدة فقط هو عمل أناني ولن يحصل الفاعل على حسنة جيدة.

وفي كثير من الثقافات البوذية هناك اعتقاد بـ (**نقل الحسنات**) أو مبدأ المشاركة في الكارما الجيدة مع الآخرين تماماً مثل المشاركة في النقود، إن منح الكارما الجيدة لآخرين يؤدي إلى نتيجة سعيدة وهي أنه بدلا من تناقص الرصيد الشخصي من الكارما كما في حالة النقود فإنه بدلاً من ذلك يتزايد نتيجة لدافع الكرم في المشاركة، وكلما أعطى المرء أكثر زاد ما يتلقاه نتيجة لذلك، ومن المشكوك فيه وجود شرعية لأفكار من هذا النوع بالرغم من أن الدافع الشخصي لمشاركة الفرد حسناته في جوٍ من الجود مرحب به كارميا لأنه يقود إلى تكوين شخصية كريمة وخيرة.

النظرة الغربية

غالباً ما يجد الغربيون مبادئ الكارما والولادة المجددة محيرة، ويرجع هذا إلى حد ما للافتراضات الثقافية المختلفة والمسبقة حول الزمن والتاريخ التي ألمحنا إليها سابقاً، ففي الثقافة التي تفكر في الزمن على أنه دائري تبدو فكرة الولادة المجددة

أمراً طبيعياً ، وقد يعترض على ذلك بالقول أنه إذا كان الناس يولدون مجدداً فلماذا لا يتذكر سوى عدد ضئيل منهم حيواتهم السابقة ؟ وقد يفسر ذلك جزئياً بأن الثقافات تشكل خبرة الفرد ، وفي غياب الاعتقاد بالتناسخ فان ذكريات الحيوات السابقة قد تمر دون إدراك أو اعتراف بها، وقد لا يرغب الأفراد الإبلاغ عنها لتجنب سخرية الآخرين منهم، وعندما يبلغ بعض الأطفال عن مثل هذه الذكريات فإنها ترفض من قبل الآباء والأساتذة على أنها ناتجة عن خيال خصب، ومع ذلك فهناك عدد متزايد من الشهادات من إفراد يدعون تذكر جيوات سابقة يصعب وصف



- لاما من التيبت يصحبه أحد المبتدئين الصغار في طريقهما لحضور وفاة شيخ عجوز في قرية محلية ويحمل الصبي نسخة من كتاب التيبت للأموات.

العديد منها ما لم تكن ذكريات أصيلة، ومع ذلك فان مثل هذه الاستذكار نادر حتى في الثقافات التي تقبل عقيدة الولادة المجددة، إن أحد التفاسير الممكنة التي قد يقدمها البوذي هو أن تجربة الحياة والموت قد تمحو مثل هذه الذكريات من الأجزاء العلوية من المخ وأنه يمكن استرجاعها في حالات مختلفة من الوعي مثل حالة التأمل أو التنويم المغناطيسي.

والاعتراض الآخر حول الولادة المجددة هو أنه إذا كان الناس يولدون من جديد فلماذا لا يزداد عددهم بسرعة أكبر؟ ومرة أخرى فإن هذا السؤال ينشأ من افتراضات تتمحور حول الذات، فعالم البشر هو واحد فقط من حقول الولادة المجددة وبما أن الكائنات يمكن أن تولد مجددا في أي من الحقول الستة فهناك حركة دائمة من حقل لآخر، إن بعض المذاهب البوذية وعلى الأخص في التيبت تعتقد بوجود حالة وسطى تعمل كفاصل بين الحيوات المختلفة، وفي هذه المرحلة الانتقالية تبقى روح الشخص المتوفى مدة ٤٩ يوماً قبل أن يولد مجدداً، وخلال هذه المدة تتطلع الروح إلى الحقول الستة للولادة المجددة قبل أن تجذب – كما لو كان ذلك بواسطة مغناطيس _ إلى الحقل الأكثر ملائمة لحالتها الكارمية، وتعتقد مذاهب أخرى بأن الانتقال من حياة إلى أخرى يتم فوراً وأن الولادة المجددة تأتي بعد الموت مباشرة.

هل من الضروري الاعتقاد بالحقول الستة للولادة المجددة وبالجنة والنار لتكون بوذياً؟

ليس بالضرورة، وعلى الرغم من أن معظم البوذيين يقبلون التعاليم البوذية القديمة إلا أنه من الممكن تأويل هذه التعاليم بطرق مختلفة وربما بالإشارة إلى أبعاد أخرى من الوجود مثل الأكوان المتوازية أو ربما بوجود حالات مختلفة من الوعي، إن المدافعين عن البوذية الحديثة التي سأتكلم عنها بتفصيل أكثر في الفصل الأخير يميلون إلى رفض العناصر القديمة من النظام التقليدي ويستبدلونها بأفكار أكثر تلاؤما مع العصر الحديث، ولذا فمن الممكن ان تكون بوذياً وأن ترفض عقيدة الولادة المجددة نهائياً بالرغم من ان ذلك يقلص البوذية إلى مبدأ شبيه بالإنسانية العلمية، ويبدو أن الاعتقاد باستمرار الحياة بعد الموت مطلب أدبي في أغلب الفكر البوذي التقليدي، لذا فهل هدف البوذية هو الولادة المجددة في عالم أفضل؟ وبالرغم من أن العديد من البوذيين

من الرهبان والعوام يرغبون في ذلك بشوق إلا أن هذا ليس هو الحل النهائي الذي تبحث عنه البوذية لمسألة الألم، لقد كان بوذا غير راض عن السعادة المؤقتة التي حصل عليها من خلال التمارين التي تعلمها من أساتذته ، والوجود المتسامي الذي تستمتع به الآلهة هو مجرد إطالة لهذه التجربة، وعاجلاً أم آجلاً فإن الكارما الجيدة التي تقود إلى ولادة مجددة سعيدة ستنتهي، وحتى الآلهة يموتون ويولدون من جديد، إن طاقة الكارما محدودة وسوف تتلاشى في النهاية وليست مثل طاقة سفينة فضائية في مدار متخافت.

لذا فإن مشكلة الألم والمعاناة لا تحل بولادة مجددة أفضل ضمن دورة التناسخ، إن النيرفانا وحدها هي التي تقدم الحل النهائي لهذه المشكلة.

الفصل الرابع

الحقائق النبيلة الأربعة

إن الهدف النهائي للبوذية هو وضع نهاية للألم والولادة المجددة، لقد صرح بوذا بذلك بقوله (في الماضي والحاضر فإنني أطرح هذا فقط : المعاناة وإنهاء المعاناة)، وبالرغم من أن هذه العبارة سلبية إلا أن للهدف منها جانباً ايجابياً، فالطريقة التي ينهي بواسطتها الفرد معاناته تكون بصرف طاقته الإنسانية للخير والسعادة، ويقال عن الشخص الذي ينجز هذه الحالة الكاملة من تحقيق الذات بأنه حصل على النيرفانا، فالنيرفانا هي البوذية، إنها الخير الأعلى والأخير، إنها فكرة وهي أيضاً خبرة، وهي كفكرة تقدم رؤيا معينة لإشباع الإنسان وتعطي شكلاً ومخططاً للحياة المثالية، وكخبرة فإنها تتجسد مع الزمن في الشخص الذي يبحث عنها.

يجب أن يكون سبب الرغبة في النيرفانا واضحاً، ولكن كيف يتم الحصول عليها ؟ تقترح المناقشة في الفصول السابقة جزءاً من الجواب، فنحن نعلم أن البوذية تولي الحياة الفاضلة أهمية كبيرة، ولذا يبدو أن العيش الملتزم بالأخلاق مطلب أولي لها، ولكن بعض العلماء يرفضون هذه الفكرة، وهم يحاجون بأن تكديس الحسنات من خلال القيام بأعمال خيرة يقف عائقاً في الحقيقة أمام الحصول على النيرفانا، إن الأفعال الخيرة كما يحاجون تنتج الكارما وهذه تقيد الشخص إلى

الولادة المجددة، وبما أن الأمر كذلك - كما يحاجون - فإن الكارما وكل الاعتبارات الأخلاقية الأخرى يجب تجاوزها قبل الحصول على النيرفانا، وهناك مشكلتان تواجهان هذا الرأي : الأولى هي تفسير لماذا – إذا كان العمل الأخلاقي عائقاً للنيرفانا – تصر النصوص البوذية على أداء الأفعال الخيرة، والمشكلة الثانية هي لماذا يستمر الذين يحصلون على التنوير كبوذا مثلاً في العيش ملتزمين بأخلاق عالية.

وقد يكون الحل لهاتين المشكلتين هو الاقتراح بأن الالتزام بحياة أخلاقية يمثل جزءاً فقط من الكمال الإنساني المتمثل في النيرفانا، ولذا فبالرغم من أن الفضيلة تمثل عنصرا ضرورياً في هذا الكمال إلا أنها غير تامة أو كافية لوحدها ويجب إكمالها بشيء آخر، إن العنصر الآخر المطلوب هو الحكمة، والحكمة في البوذية تعني التفهم الفلسفي العميق لوضع الإنسان، وهي تتطلب التعمق في فهم طبيعة الواقع من خلال التفكير الطويل والتأمل العميق، إنها نوع من الغنوص أو الإدراك الفوري والمباشر للحقيقة والذي يتعمق مع مرور الزمن، وأخيراً فإنها تبلغ النضج الكامل في حالة اليقظة التامة التي مر بها بوذا.

إن النيرفانا تصبح عندئذ انصهاراً للحكمة والفضيلة، ويمكن التعبير عن العلاقة بينهما بلغة فلسفية بالقول بأن الفضيلة والحكمة شرطان ضروريان للنيرفانا بينما لن يكون أي منهما كافياً لوحده، وبتواجدهما معاً فقط تتحقق شروط الحصول على النيرفانا، ويشبههما نص قديم بيدين تغسل إحداهما الأخرى لتنظفها، وهي توضح بأن الشخص الذي تنقصه إحداهما غير كامل.

وإذا وافقنا على أن الحكمة مقابل ضروري للفضيلة ماذا على المرء أن يعرف ليصبح متنوراً ؟ إن الحقيقة التي يجب معرفتها هي بشكل أساس تلك التي عرفها البوذا في ليلة (استنارته) ثم صرح عنها بعد ذلك في موعظته الأولى في حديقة الغزلان في بينارس، وتشير هذه الموعظة إلى أربعة اقتراحات متصلة ببعضها تعرف بـ (الحقائق النبيلة الأربعة)، وتؤكد هذه الحقائق ما يلي :

١- الحياة هي معاناة

٢- سبب المعاناة هو الرغبة

٣- إن إنهاء المعاناة ممكن

٤- هناك طريقة لإنهاء المعاناة.

١- حقيقة المعاناة

أيها الرهبان ما هي الحقيقة النبيلة التي تدعى المعاناة ؟ الولادة معاناة والمرض معاناة والشيخوخة معاناة والموت معاناة، الألم والحزن والأسى والتفجع واليأس كلها معاناة، إن الربط مع شيء غير سار معاناة والانفصال عن شيء سار معاناة ، وعدم حصول المرء على ما يريده معاناة، وباختصار فإن العناصر الخمسة للشخصية هي معاناة.

ويستخدم أحياناً تشبيه طبي لتوضيح العلاقة بينها ، فالبوذا أشبه بطبيب وجد الدواء لأمراض الحياة ، فهو يشخص المرض أولاً ثم يشرح سببه ومن ثم يقول بوجود علاج له وأخيراً يصف الدواء اللازم.

يبدأ عالم النفس الأمريكي م. سكوت كتابه الأكثر مبيعاً (الطريق الأقل استخداماً للسفر) بالعبارة التالية (الحياة صعبة)، وبالإشارة إلى الحقيقة النبيلة الأولى فهو يضيف بأنها حقيقة عظيمة بل هي أحد أعظم الحقائق، هذه الحقيقة التي تعرف في البوذية على أنها حقيقة (المعاناة) هي الركن الأساس في تعاليم بوذا ، وتنص هذه الحقيقة على أن المعاناة عنصر رئيس في الحياة وتشخص الحالة البشرية على أنها شكل من أشكال (المرض)، وهي تشير إلى المعاناة بأشكالها العديدة بادئة بالتجارب الفيزيائية أو البيولوجية كالولادة والمرض والشيخوخة والموت، وبينما تشمل هذه على أوجاع فيزيائية فإن المشكلة الأعمق هي حتمية تكرر الولادة والمرض والشيخوخة والموت في حياة بعد أخرى للشخص نفسه وللآخرين الذين نحبهم، إن الأفراد عاجزون أمام هذه الحقائق، وبالرغم من التقدم في العلوم الطبية لا يزال الفرد عرضة للمرض والحوادث بسبب طبيعته الفيزيائية، وبالإضافة إلى الألم الفيزيائي فإن حقيقة المعاناة تشير أيضاً إلى أشكال المعاناة العاطفية والنفسية مثل (الحزن والتوجع والتألم واليأس)، ويمكن لهذه المعاناة أن تكون اشد ألماً من المعاناة

الفيزيائية أحياناً، فهناك حيوات قليلة تخلو من الألم والحزن، وهناك كثير من الظروف النفسية المعقدة مثل الاكتئاب المزمن التي قد لا يمكن الشفاء منها تماماً.

وما هو أبعد من هذه الأمثلة الواضحة عن المعاناة فإن حقيقة المعاناة تشير إلى نوع آخر أكثر تعقيداً وهو الذي يمكن أن يدعى (وجودياً)، ويمكن رؤية هذا في عبارة (إن عدم الحصول على ما يريده المرء هو معاناة)، إن نوع المعاناة المنظور هنا هو خيبة الأمل والإحباط اللتين يشعر بهما المرء عندما لا تلبي الحياة توقعاته وعندما لا تجري الأمور كما يشتهي، إن البوذا ليس متشائماً مريضاً وقد عرف بالتأكيد من خلال خبرته كأمير شاب أن للحياة لحظاتها السعيدة، ومع ذلك فالمشكلة هي أن الأوقات السعيدة لا تدوم وهي تزول عاجلاً أم آجلاً أو أن المرء سرعان ما يمل مما كان يعتبره جديداً وواعداً، وفي هذا الإطار فان لكلمة دوكخا Dukkha مفهوماً أكثر تجريداً وهو أنه حتى لو كانت الحياة غير مؤلمة فإنها غير مرضية أو غير مشبعة للإنسان، وفي هذا المفهوم فإن (عدم الرضى) يلتقط معنى الدوكخا أفضل من (المعاناة)، وبنهاية الصياغة تقترح حقيقة المعاناة سبباً رئيساً يفسر لماذا لا يمكن للحياة الإنسانية أن تكون مشبعة أو (مرضية) تماماً، إن العبارة (العناصر الخمسة للشخصية هي معاناة) هي إشارة إلى التعاليم التي وضعها بوذا في موعظته الثانية والتي تحلل طبيعة البشر إلى خمسة عناصر وهي الجسم الفيزيائي ثم الأحاسيس ثم التفكير ثم الشخصية وأخيرا الإدراك، وليس هناك من داع للتفصيل في هذه العناصر بشكل فردي لأن المهم لدينا هنا ليس ما تحتويه القائمة بل ما الذي لا تحتويه، وبشكل خاص فان البوذية لا تذكر الروح والتي فهم أنها شيء خالد وثابت، وبتبني هذا الوضع فقد أبعد بوذا نفسه عن التقليد الهندي الديني الأرثوذكسي المعروف بالبراهمانية والتي تدعي أن لكل شخص روحاً خالدة atman هي جزء من مطلق فيزيائي يعرف بالبراهمان (نوع من إله لا شخصي) أو مشابهة له، لقد صرح بوذا بأنه لم يجد دليلاً على وجود روح للشخص أتمان أو مقابلها الكوني (براهمان) وبدلاً من ذلك فقد كان مذهبه عملياً وتجريبياً وأقرب لعلم النفس منه لعلم اللاهوت، لقد شرح طبيعة البشر كما تتألف من العناصر الخمسة تماماً مثلما شرح بأن السيارة

مكونة من العجلات وجهاز نقل الحركة والمحرك والمقود والهيكل، وعلى نقيض العلم بالطبع فقد اعتقد بأن شخصية المرء الأخلاقية والتي يمكن أن ندعوها الدنيا الروحية للشخص تستمر بعد الموت وتولد من جديد، وبتصريحه بأن العناصر الخمسة للشخصية هي (معاناة) فإن البوذا كان يشير إلى أن الطبيعة البشرية لا يمكنها ان تقدم أساساً لسعادة دائمة لأن مذهب العناصر الخمس يظهر أن الفرد لا يمتلك أي محتوى حقيقي ولأن البشر مكونون من هذه العناصر الخمسة التي تتحرك باستمرار، فمن المحتم أن (المعاناة) سوف تظهر عاجلاً أم آجلاً تماماً كالسيارة التي سوف تهترئ في النهاية وتتعطل، ولذا فان (المعاناة) هي جزء من النسيج البشري.

لقد زودت محتوى حقيقة المعاناة جزئياً من رؤية بوذا للعلامات الثلاث الأولى من العلامات الأربع - وهي الرجل العجوز والمريض والجنازة - وإدراكه بأن الحياة تمر خلال المعاناة والشقاء بكل أنواعهما، إن الكثيرين الذين يلتقون بالبوذية يجدون هذا التعبير عن الحالة البشرية متشائماً، ويرد البوذيون على ذلك بالقول بأن دينهم ليس متشائماً وليس متفائلاً ولكنه واقعي، وأن حقيقة المعاناة ببساطة تقدم حقائق الحياة بموضوعية تامة، وإذا بدا العرض متشائما فان هذا عائد لميل الإنسان الراسخ للابتعاد عن الحقائق المزعجة والنظر إلى (الجانب المضيء فقط)، وبدون شك فإن هذا هو سبب ملاحظة البوذا بأن حقيقة المعاناة كانت صعبة جدا على الفهم، إنها شبيهة باعتراف المرء بأنه يعاني من مرض خطير وهو ما لا يحب أي شخص الاعتراف به، ومع ذلك فما لم نعترف بهذه الحالة فليس هناك أي أمل بالشفاء منها.

٢- حقيقة النشوء

ها هي أيها الرهبان حقيقة نشوء المعاناة، إنها ذلك التعطش للشهوة التي تسبب الولادة المجددة والتي ترتبط بسرور مشبوه والذي يفتش عن متع جديدة هنا وهناك على شكل:

١- عطش للمتع الجنسية

٢- عطش للبقاء

٣- عطش لعدم البقاء

ومع التسليم بأن الحياة معاناة فكيف تنشأ هذه المعاناة ؟ وتشرح الحقيقة النبيلة الثانية وهي حقيقة النشوء أن المعاناة تنشأ من الرغبة أو (العطش)، فالرغبة تؤجج المعاناة كما تؤجج الحطب النار، وفي استعارة حية في موعظة النار يقول بوذا بأن كل الخبرة البشرية (مشتعلة) بنار الرغبة، إن تشبيه الرغبة بالنار تشبيه بليغ لأن النار تأكل كل شيء دون أن تنطفئ، إنها تنتشر بسرعة وتلتصق بأشياء جديدة وتحرق بألم الرغبة التي لا تشبع، وتسبب الرغبة على شكل الشغف الشديد بالحياة وملذاتها الولادة المجددة، وإذا شبهت الخواص الخمس للشخصية بالسيارة فإن الرغبة هي الوقود الذي يحركها، وبالرغم من اعتبار الولادة المجددة تحدث من حياة إلى أخرى إلا أنها أيضاً تحدث بين لحظة وأخرى، ويقال عن الشخص أنه ولد من جديد من ثانية إلى أخرى عندما تتغير الخصائص الخمسة لشخصيته وتتفاعل مع بعضها وهي تقاد بدافع الرغبة في الحصول على الخبرات السارة، إن استمرارية وجود الإنسان من حياة إلى أخرى هي ببساطة نتيجة لتراكم قوى الرغبة فيه.

تصرح حقيقة النشوء بأن الرغبة تعبر عن نفسها بأشكال ثلاثة : الأولى هي العطش للملذات الجنسية، وتأخذ هذه شكل الرغبة للإشباع من خلال الحواس مثل الرغبة في التذوق والشعور والمناظر والروائح والأصوات السارة، والثانية هي التعطش للوجود.، وتشير هذه الرغبة إلى الإرادة الغريزية العميقة لأن (نكون) والتي تدفعنا إلى حيوات أخرى والى تجارب جديدة، إن الشكل الثالث الذي تظهر فيه الرغبة هو عدم التملك أو التحطيم، وهذا هو الجانب المظلم في الرغبة الذي يتجلى في الدافع لإلغاء وإنكار ورفض ما هو غير سار، ويمكن للرغبة في التحطيم أن تؤدي إلى تصرف ينفي الذات وينهيها، إن التقدير المنخفض للذات والتفكير على غرار (أنا لست جيدا) أو (أنا فاشل) هي تجليات لهذه الحالة عندما توجه نحو الذات، وفي الحالات القصوى قد تنتهي إلى الانتحار، إن أشكال التقشف الشديد التي رفضتها البوذية هي أيضاً تعبير عن هذه الرغبة في تحقير الذات وتهميشها.

هل يعني هذا أن كل الرغبات سيئة ؟ يجب أن نكون حذرين قبل إعطاء هذا الاستنتاج، وعلى الرغم من أن (الرغبة) تستخدم غالبا كترجمة لكلمة تانها tanha

إلا أن للكلمة الانكليزية مجالاً لغوياً أوسع بكثير، فكلمة تانها أكثر تحديداً في المعنى، فهي تشير إلى الرغبة التي تنحرف بشكل ما وعادة بسبب الشطط فيها أو توجيهها بشكل خاطئ، إن هدفها عادة هو التحريض الحسي واللذة، ومع ذلك فليست كل الرغبات من هذا القبيل، وغالباً ما تتحدث النصوص البوذية عن الرغبة بإيجابية أكثر باستخدام المصطلح تشاندا chanda، إن وضع أهداف ايجابية للفرد مثل الوصول إلى (النيرفانا) والرغبة في جعل الناس سعداء والأمل في ترك العالم في وضع أفضل مما هو عليه هي أمثلة على رغبات إيجابية وكاملة لا تعتبر من جملة التانها.

وبينما تعيق الرغبات الخاطئة الإنسان وتقيده فان الرغبات الخيرة تطوره وتحرره، ويمكن استخدام التدخين لتوضيح هذا الاختلاف، إن رغبة المدخن المدمن في سيكارة ثانية تعتبر من التانها لأن الهدف منها ليس أكثر من الحصول على لذة لفترة قصيرة، إن مثل هذه الرغبة قسرية ومحددة ودورانية، إنها لا تقود إلى شيء وإنما فقط إلى السيكارة التالية وكتأثير جانبي إلى (المرض)، وبالمقابل فإن رغبة المدخن المدمن في ترك التدخين هي رغبة ايجابية لأنها ستكسر النموذج الدوراني لعادة قسرية وسلبية وستحسن صحة الإنسان ورخاءه.

وفي حقيقة (النشوء) تمثل تانها (جذور الشر الثلاثة) التي ذكرت سابقاً وهي الجشع والكراهية والوهم، وتمثل هذه الشرور الثلاث في الفن البوذي على شكل ديك وخنزير وثعبان يطارد بعضها بعضا في دائرة صغيرة عند مركز (عجلة الحياة) الموصوفة في الفصل الثالث بحيث أن كلاً منها يعض ذنب الذي يليه، وبما أن الرغبة تؤدي فقط إلى رغبة أخرى فان عجلة الولادة المجددة تدور وتدور ويولد الأفراد مرة بعد أخرى، وتشرح كيفية ذلك بالتفصيل في تعليم يعرف بال (النشوء في الاعتماد المتبادل).، وتشرح هذه العقيدة كيف تقود الرغبة والجهل إلى الولادة المجددة في سلسلة تتألف من ١٢ مرحلة، وبدلاً من مناقشة هذه المراحل فمن الأهم لنا أن نفهم المبدأ الأساس لها والذي لا يطبق على علم النفس الإنساني فقط وإنما على الواقع بشكل أعم.

ويمكن شرح المبدأ بشكل أساس على أنه الإدعاء بأن لكل تأثير سببا، وبعبارة أخرى فان كل شيء ينشأ بالعلاقة مع شيء آخر (أو بالعلاقة مع أشياء عديدة أخرى)، وبحسب هذه الرؤية فان كل الظواهر تنشأ كجزء من سلسلة من الحوادث ولاشيء يوجد بشكل مستقل عن الآخر أو بذاته، ولذا فان الكون ليس مجموعة من أشياء ثابتة فقط وإنما هو مؤلف من شبكة ديناميكية من الأسباب والنتائج المترابطة مع بعضها، وأبعد من ذلك فكما يمكن أن يحلل الإنسان إلى خمسة عوامل شخصية دون إبقاء أي شيء منه، فكذلك يمكن اختزال كل الظواهر إلى مكوناتها الرئيسة بدون بقاء أي شيء (أساسي) منها، إن الأشياء غير مرضية لأنها غير دائمة (وبالتالي فهي غير مستقرة وغير موثوقة)، وهي غير دائمة لأنها تفتقر لطبيعة ذاتية مستقلة عن العملية الطبيعية للكون.

٣- حقيقة التوقف

أيها الرهبان هذه هي حقيقة توقف المعاناة، إنها التوقيف الكامل للشهوة والانسحاب منها، والتنصل منها ورفضها والتحرر منها وعدم الارتباط بها.

ويمكن رؤية الكون البوذي بشكل أساسي على أنه يتغير بمنحى دائري، فهو على المستوى النفسي سلسلة لا متناهية من الرغبة والإشباع، وعلى مستوى الفرد سلسلة متتالية من الموت والولادة المجددة، وعلى مستوى الكون سلسلة من خلق المجموعات الشمسية وتحطمها، ومن وراء كل هذا هناك مبدأ السبب والنتيجة الموجود في مبدأ (النشوء في الاعتماد المتبادل) والتي طورت نتائجها بشكل أعمق في البوذية المتأخرة.

إن الحقيقة الثالثة هي حقيقة التوقف cessation، وتقول هذه الحقيقة بأنه عندما تزاح الرغبة تتوقف المعاناة ويتم الحصول على النيرفانا، وكما نتذكر من قصة حياة بوذا فان النيرفانا تأخذ شكلين رئيسين : الأول يحدث في الحياة والثاني بعد الموت، لقد حصل بوذا على (النيرفانا) في حياته بينما كان جالساً تحت شجرة وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، وفي الثمانين توفي وانتقل إلى حالة (النيرفانا النهائية) التي لن يولد منها مجدداً، وتعني النيرفانا جزئياً (الإطفاء) أو (التوقف)

بالطريقة ذاتها التي تطفأ فيها شمعة مشتعلة، ولكن ما الشيء الذي يطفأ ؟ هل هو روح الفرد أم نفسيته أم هويته ؟ لا يمكن أن تكون الروح لأن البوذية تنفي وجودها، ولا يمكن أن تكون نفسية الفرد أو هويته على الرغم من أن النيرفانا تشمل بالتأكيد على حالة متغيرة جذرياً من الوعي خالية من التملك ومن (أنا وملكي)، إن الشيء الذي يطفأ في الحقيقة هو النار المشكلة من ثلاثي (الجشع والكراهية والوهم) وهي التي تقود إلى الولادة المجددة، وبالفعل فان التعريف الأبسط للنيرفانا في هذه الحياة هو حقيقة إنسانية وأخلاقية وهي حالة متغيرة للشخصية تتميز بالطمأنينة والسعادة الروحية العميقة والتعاطف والوعي المهذب والعميق، إن الحالات الذهنية السالبة والعواطف مثل القلق والشك والخوف غائبة عن العقل المتنور، ويبدي القديسون من ديانات مختلفة بعض هذه الخصائص أو كلها، ويمتلكها الأشخاص العاديون إلى درجة ما بالرغم من أنها مطورة بشكل غير كامل، إن الشخص المتنور مثل البوذا أو الأرهات يمتلكها جميعا بالكامل.

ما الذي يحدث لمثل هذا الشخص عندما يموت ؟ ان العلاقة مع النيرفانا النهائية تسبب مشاكل في الفهم، فعندما ينطفئ لهيب الرغبة تتوقف الولادة المجددة ولا يولد الشخص المستنير من جديد، إذن ما الذي يحدث له ؟ لا يوجد جواب واضح لهذا السؤال في المصادر القديمة، لقد قال بوذا بأن السؤال حول مكان الشخص المستنير بعد موته يشبه السؤال أين يذهب اللهب بعد أن يطفأ، فاللهب بالطبع لا يذهب إلى أي مكان إنما تتوقف عملية الاحتراق، إن إزاحة الرغبة والجهل تشبه إزالة الأكسجين والوقود اللذين يحتاجهما اللهب للاحتراق، ومع ذلك يجب أن لا تقترح صورة إطفاء اللهب على أن النيرفانا هي نوع من العدم، فالمصادر القديمة توضح أن هذا الرأي خاطئ وكذلك الاستنتاج بأن النيرفانا هي بمثابة خلود الروح.

٤- حقيقة الطريق

هذه أيها الرهبان هي حقيقة الطريق الذي يقود إلى توقف المعاناة، إنها الطريق النبيلة المؤلفة من ثماني مراحل، والمؤلفة من:

١- النظرة الحقة.

٢- الإرادة الحقة.

٣- الخطاب الحق.
٤- العمل الحق.
٥- الحياة الحقة.
٦- الجهد الحق.
٧- التفكير الحق.
٨- التأمل الحق.

لقد ثبط البوذا من التساؤل حول طبيعة النيرفانا وأكد عوضاً عن ذلك على الحاجة للاجتهاد من أجل الحصول عليها ، إن أولئك الذين يثيرون أسئلة افتراضية حول النيرفانا يشبهون رجلاً جرح بسهم سام وبدلاً من أن ينزع السهم يصر على السؤال عن معلومات غير مهمة حول من رمى السهم واسمه وقبيلته وأين كان يقف...الخ ، وإتباعاً لهذا التردد من قبل بوذا تصف المصادر القديمة النيرفانا بعبارات سلبية غالبا مثل (غياب الرغبة) أو (إطفاء العطش) و(الانطفاء) و(التوقف)، ويمكن أيضاً العثور على عدد اقل من العبارات الايجابية بما في ذلك (الطيبة والنقاء والسلام والحقيقة والشاطئ الآخر) ويبدو أن بعض الاقتراحات تقترح أن النيرفانا حقيقة متسامية (غير مولودة) ولا ناشئة وغير مخلوقة وغير مشكلة ، ولكن من الصعب معرفة التفسيرات لهذه العبارات، وفي التحليل الأخير تبقى طبيعة النيرفانا النهائية مشكلة بالنسبة لأولئك الذين لم يجربوها ، **وما نحن متأكدون منه هو أنها تعني نهاية المعاناة والولادة المجددة.**

وتتعلق الحقيقة النبيلة الرابعة بطريقة شرح كيفية التحول من سامسارا إلى النيرفانا، ففي غمرة الحياة اليومية يتوقف البعض فقط للتفكير في الطريقة الأكثر إشباعاً للعيش، لقد طرحت مثل هذه الأسئلة على الفلاسفة اليونان، وللبوذا مساهمته الخاصة بهذا الصدد ، لقد فكر بأن أرفع شكل من أشكال الحياة هو الذي يقود إلى تطور الفضيلة والمعرفة ويضع الطريق الثماني كأسلوب للحصول عليهما.

ويعرف الطريق الثماني بالطريق الأوسط لأنه يسير بين حياة الترف وحياة التقشف، ويتألف من ثمانية عوامل موزعة على ثلاث خصائص وهي : الأخلاق

والتأمل والحكمة، وتعرف هذه العوامل الخير وتدل على الازدهار البشري، ففي قسم الأخلاق تحقق الفضائل الأخلاقية وفي قسم الحكمة تطور فضائل التفكير ولكن ماذا عن قسم التأمل؟ سوف يشرح دور التأمل بتفصيل أكبر في الفصل التالي ولذا فلن أتكلم عنه كثيرا هنا ماعدا القول بأنه يدعم القسمين الآخرين.

وبالرغم من أن الطريق يتألف من ثمانية عناصر إلا أنه يجب عدم النظر إليها على أنها مراحل يمر بها الإنسان للوصول إلى النيرفانا ومن ثم تترك بعد ذلك، وبدلاً من ذلك فإن العناصر الثمانية تشرح الطرق التي تتطور فيها الأخلاق والحكمة والتأمل بشكل مستمر، إن (الفهم الحق) يعني أولاً قبول تعاليم بوذا ومن ثم تأكيدها بالخبرة، وتعني (الإرادة الحقة) الالتزام الجاد بتطوير حالات صحيحة، ويعني (القول الحق) قول الحقيقة والتكلم بطريقة حساسة وبعد تفكير، ويعني (العمل الحق) الامتناع عن التصرفات الجسدية الخاطئة كالقتل والسرقة أو التصرف بشكل خاطئ بالنسبة للذات الجنسية، أما (العيش الحق) فيعني عدم الاشتغال بمهنة تسبب الأذى للآخرين، ويعني (الجهد الحق) الحصول على التحكم في تفكير المرء وتطوير حالات ايجابية من العقل، ويعني (العقل الحق) التطوير الدائم للوعي كما يعني (التأمل الحق) تطوير مستويات عميقة من السكينة العقلية بتقانات مختلفة تعمل على تركيز العقل وتكامل الشخصية.

الفهم الحق	الحكمة بانا
الإرادة الحقة	
القول الحق	الأخلاق سيلا
العمل الحق	
العيش الحق	
الجهد الحق	التأمل ساميدي
العقل الحق	
التأمل الحق	

ومن هذه الناحية فان تمرين الطريق الثماني هو نوع من النمذجة، وتظهر العوامل الثمانية كيفية حياة البوذا وعن طريق التمثل بحياة البوذا يمكن للمرء أن

يصبح تدريجياً كذلك، ولذا فإن الطريق الثماني هو أسلوب لتحويل الذات أو النفس: عملية إعادة تكوين ذهنية وعاطفية وخلقية حيث يتكون الشخص من جديد ويتجرد من الأهداف الأنانية والمحددة إلى أفق أوسع من الإمكانات والفرص لتحقيق الذات، ومن خلال التماس المعرفة والفضيلة يتم التغلب على الأنانية والجهل ويزاح سبب نشوء المعاناة ويتم الحصول على النيرفانا.

الفصل الخامس

الماهايانا

لم يعين بوذا أي خليفة له وترك مريديه ليفسروا الدارما بأنفسهم، ولم يمض وقت طويل حتى شب الخلاف، وفي البداية كان هذا حول إجراءات الرهبنة ولكنه تحول بعد ذلك إلى العقيدة نفسها، وبغياب أية سلطة مركزية كان من المحتم تطور تقاليد مختلفة من البوذية، لقد حدث الخلاف الأهم حوالي قرن بعد وفاة بوذا بين مجموعة دعيت فيما بعد بـ (الشيوخ) ومجموعة أخرى عرفت بـ (المؤتمر العام).

الانقسام الكبير

على ماذا اختلفت المجموعتان؟ إن السجلات تعطي أوصافا متناقضة، ويعزو البعض هذا الانقسام إلى خلاف مبدئي يتعلق بمكانة بوذا بالمقارنة مع الأرهات، وبحسب هذا الرأي فقد قدم راهب يدعى ماهاديفا (خمس أطروحات) يقترح فيها أن الأرهات أقل مكانة من بوذا في نواحٍ معينة مثل أنه لم يقمع الرغبة نهائياً وفيما يخص العلم الكلي المنسوبة إلى بوذا (لكن بوذا لم يدع هذا الأمر لنفسه)، إن السبب الأكثر احتمالا لهذا الانقسام مع ذلك يبدو أنه محاولة من قبل (الشيوخ) لتعديل قوانين الرهبنة بإدخال قواعد إضافية للتصرف.

ووراء الانقسام هناك الضغوط والإجتهادات العامة التي حدثت عندما بدأت البوذية تنتشر في أنحاء أخرى وراء موطنها الأصلي في الهند، ومع نموها فقد صادفت عادات غريبة وأفكارا جديدة، كيف كان عليها أن تتجاوب مع ذلك؟ هل كان عليها أن تتمسك بقوة بالعادات القديمة أم تتغير لتتجاوب مع المعتقدات والطقوس الجديدة ؟ وفي النهاية حدث استقطاب للآراء حول مجموعة من القضايا وانفصلت المجموعتان عن بعضهما بما عرف بـ (الانقسام الكبير)، ومع مرور الوقت تجزأت مجموعة (الشيوخ) ومجموعة (المؤتمر العام) إلى عدد من المدارس الأصغر، ومع الزمن اختفت كل هذه المجموعات ماعدا الثيرافادا التي انحدرت من تقليد (الشيوخ)، ومع ذلك فقد ترك عدد من هذه المدارس القديمة بصماته في الحركة الثورية الجديدة التي أصبحت تعرف بالماهايانا.

الماهايانا: تأكيد جديد

تعني كلمة ماهايانا (العجلة الكبيرة)، وقد دعيت كذلك لأنها تعتبر نفسها الطريقة العالمية للخلاص، لقد تشكلت لأول مرة حوالي زمن المسيح ويمكن تأريخها بشكل تقريبي بين ١٠٠ قبل المسيح و٣٠٠ بعده، وبالرغم من عدم وجود دليل قوي على التأثير المتبادل بين المسيحية والبوذية إلا أن هناك بعض التشابه بين المسيحية وبوذية الماهايانا والتي قد يكون من المفيد ذكرها، ويتعلق أولها بفكرة المخلص، وكما تعتقد المسيحية بأن تضحية المسيح الشخصية نموذج لخدمة المسيحيين الآخرين كذلك فان المثال الأعلى في الماهايانا هو الحياة المكرسة لخير العالم.

وبدلاً من البحث عن الخلاص الفردي الذي نصحت به التعاليم البوذية القديمة فإنها تؤكد على العمل من أجل إنقاذ الآخرين، ويجد هذا تعبيراً له في مبدأ بودهيساتفا bodhisatva الذي يقسم على العمل بدون كلل عبر حيوات عدة من أجل قيادة الناس إلى النيرفانا، إن كل من يعتبر نفسه من الماهايانا يصبح بودهيساتفا، ولكن هذا هو نقطة البداية فقط بالنسبة لمعظم الناس في تمرينهم الطويل على التطور الروحي، لقد كان مثال البودهيساتفا مهماً جداً وخاصة في المراحل الأولى بحيث عرفت الماهايانا ببساطة بالبودهيساتفا يانا أو (عجلة البودهيساتفا).

ويتصل بمبدأ خدمة الآخرين أيضاً فكرة الحب غير الأناني، لقد أعطى المسيح الحب قيمةً عظمى في تعاليمه وبالمقابل أعطت الماهايانا أهمية كبيرة (للتعاطف)، وبالفعل فان التعاطف مع الآخرين هو الذي يدفع البودهيساتفا إلى التضحية بنفسه من أجل الآخرين، وبالطبع لا يستطيع البودهيساتفا أن (ينقذ) الآخرين كما فعل المسيح، وعوضاً عن ذلك فهو يكرس جهده ليكون (صديقاً) للآخرين يساعدهم بإعطاء القدوة الحسنة وبتخفيف آلامهم بطرق عملية وبتشجيعهم وتعليمهم وإرشادهم إلى الطريق نحو التحرر.

أفكار جديدة حول بوذا

مع بروز البودهيساتفا أصبحت صورة بوذا أكثر سموا، لقد ظهرت الماهايانا بعد وفاة بوذا بعدة قرون، وقد أدت المبالغة في وصف حياته إلى التفكير به ككائن شبه الهي، وقد ازداد هذا الغموض بسبب الخلاف حول مكانه في النيرفانا النهائية، وعلى الرغم من أن (الشيوخ) قالوا بأنه عبر هذا العالم إلى النيرفانا النهائية فقد كان من الممكن أيضاً النظر إليه على أنه موجود في مكان علوي، وقد اعتقد أنصار الماهايانا بأن كائناً رحيماً مثل بوذا لن يعزل نفسه عن آلام الآخرين، ولذا فهم يعتقدون أنه لا يزال موجوداً في مكان ما يعمل بجد على خلاص الآخرين كما كان يفعل عندما كان على الأرض، ومع هذا الاعتقاد نشأت طوائف من الموالين الذين يقدمون التبجيل والطاعة ويبحثون عن العبادات، وإذا كان البودهيساتفا يشبه المسيح في حبه للبشر وخدمتهم فان البوذا يشبه الإله الأب ككائن خارق وكريم غير موجود في هذا العالم ولكنه موجود في عالم سماوي قريب وأنه يهتم برخاء أبنائه وسعادتهم.

وفي النهاية قدمت هذه الأفكار لولادة كونية ماهايانية وللاهوت بوذي يصور بوذا بثلاثة أبعاد : ارضي وسماوي ومتسام، فالأرضي هو الجسم الذي كان يملكه بوذا عندما كان على الأرض، والسماوي موجود في عالم سعيد وجد قبل العالم الذي نسكنه الآن، وهو عالم لا يختلف عن الجنة لدى المسحيين، أما البعد المتسامي فهو التفكير ببوذا على أنه مطابق للحقيقة الخالدة، ويطابق هذا من بعض

الوجوه ما يقوله الفلاسفة واللاهوتيون المسيحيون عن الإله بوصفه الحقيقة المطلقة والنهائية، (تفهم مدارس الماهايانا هذه المصطلحات بأشكال مختلفة)، وهناك تشابه أخير بين الماهايانا والمسيحية في الاعتقاد بـ (عودة ثانية) في يوم الحساب، وبحسب هذا الاعتقاد فإن بوذا الذي يعرف باسم ميتريا سيظهر في نهاية الأيون الحالي عندما يكون الوضع مثالياً وستحصل جماهير الناس على التنوير، لقد أسست هذه الفكرة (الموجودة أيضاً في بوذية الثيرفادا) لعدد من الجماعات التبشيرية التي شاعت من وقت لآخر في شمال آسيا وجنوبها، إن انقسام البوذية مع نشوء الماهايانا ليس بعيداً عما حدث خلال الإصلاح الديني عندما انقسمت الكنيسة اللاتينية إلى البروتستانتية والكاثوليكية، لقد ترك كلاً الانقسامين بصماته على المشهد الديني العام، وبنظر البوذيون إلى أنفسهم على أنهم ماهايانيون أو ثيرفاديون كما يفكر المسيحيون بأنفسهم على أنهم بروتستانت أو كاثوليك، وهناك أيضاً تشابه عقائدي، فالبروتستانت الأوائل يرون الخلاص مسألة فردية بالدرجة الأولى كما يفعل الثيرفاديون، بينما يعتقد الكاثوليك والأرثوذكس وكذلك الماهايانيون بالمساعدة والوساطة للقديسين والبودهيساتفا، ولكن ليس من الحكمة المضي بعيداً في المقارنة إذ أن هناك اختلافات عديدة، فالماهايانا على سبيل المثال كانت حركة رخوة في البداية ولم تكن منظمة ضمن حدود دينية ولم يكن هناك فصل واضح بين أتباعها والمدارس الأخرى، ولم يكن من غير الشائع للرهبان الذين عمدوا في المؤتمر العام أو حتى بالنسبة لفروع من تقليد الشيوخ بأن يكون لديهم تعاطف مع الماهايانا بينما يعيشون مع إخوان لهم لا يشاركونهم في ذلك.

شريعة الماهايانا ـ (السوتراس)

لقد كانت نواة الماهايانا سلسلة من الكتابات الجديدة التي ظهرت في القرون الأولى من الحقبة المسيحية، وبينما يعتقد بأن السوتراس الأقدم الموجود ضمن تشريع بالي هو كلمات بوذا نفسه فان السوتراس الجديد لا يمكن عزوه إليه، لقد أصبح لهذه النصوص التي لا يعرف مؤلفها والتي ربما ألفت من أشخاص عديدين سلطة كبيرة لأنها كانت ملهمة وذات رؤيا، لقد جعلت الماهايانا الجديدة ممكناً الإدعاء بأن البوذا إن لم

يكن المؤلف البشري للسوتراس الجديدة فإنه على الأقل المؤلف الروحي لها لأن الحكمة استمرت في الإشعاع من المستويات العليا للكون إلى المحيط البشري.

وتقوم سوتراس الماهايانا الرئيسة التي تدعى لوتس سوتراس (٢٠٠ ب.م) بمراجعة جذرية للتاريخ البوذي الأول، وهي في الجوهر تدعي بأن البوذا على الرغم من أنه عاش ومات كشخص عادي إلا أنه كان متنوراً من زمن سحيق، وكمعلم حكيم وعطوف مر عبر طرق معقدة للتعامل مع توقعات الناس منه في زمانه، إن مثله في ذلك مثل المعلم الخبير الذي لا يبدأ بشرح مبدأ التكامل لطلاب بدؤوا لتوهم في تعلم الرياضيات، ولذا فقد أعطى بوذا تعاليم محددة فقط هي بمثابة الأبجدية الأولية الروحية والتي يعلم بأن أتباعه قادرون على فهمها، ويعود ذلك بشكل رئيس إلى عمق الشريعة واتساعها والتي ظهرت الآن كاملاً في الماهايانا، لقد كانت عميقة جداً في الأصل ولكن بوذا بدلاً من إرباك أتباعه فقد استخدم وسائل ماهرة لتقديم الحقيقة لهم بشكل مبسط.

وهناك فقرة شهيرة في لوتس سوتراس وهي حكاية المنزل المحترق تقارن بوذا بأي حكيم يرى البيت الذي يوجد فيه أطفاله وهو يحترق ويفكر في الطريقة الأفضل لإخراجهم منه، أما الأطفال فلأنهم مشغولون بألعابهم لا يرون الخطر الداهم ولذا لا يفكرون في الخروج منه، ولذا يعدهم بوذا بالعاب جديدة تنتظرهم في الخارج فيتبعه الأطفال المتحمسون وينجون من الحريق، وفي هذه الحكاية يرمز البيت المحترق إلى السامسرا وهو عالم المعاناة المؤقت والأطفال إلى الأتباع الأوائل، وبما أنهم أطفال ومشغولون بأنفسهم فإن البوذا يستميلهم بتعاليم من النوع الذي يعلم بأنه محبب إليهم، ولكن بعد أن ينجو الأطفال من الخطر المحيق بهم يمكن له أن يطلعهم على الحقيقة الكاملة، ولذا فإن وجهة نظر الماهايانا هي أن التعاليم الأولى بالرغم من أنها ليست خاطئة إلا أنها ناقصة ومن الواجب إكمالها (دورة أخرى من عجلة الدارما)، وكثيراً ما سخرت الماهايانا سوتراس من المدارس الأقدم والتي كانت تدعوها باستخفاف (العجلة الأولى) هينايانا أو (العجلة الأقل قدرا)، وتصف تعاليم فيمالاكيرتي الشائعة جدا (٤٠٠ ب.م) كيف أن الرهبان المتعلمين من أنصار

التقليد القديم أفحموا من قبل إنسان بسيط يدعى فيمالاكرتي وهو يعرض بشكل ممتع التعاليم الأرقى للماهايانا.

إن ما كان أتباع الماهايانا يبحثون عنه من خلال تجربتهم الروحية هو قبل كل شيء إتباع طريق البودهيساتفا، ولقد أحدثت المراحل المختلفة من مهنة البودهيساتفا ببعض التفصيل خلال مسيرة امتدت عدة قرون، لقد كانت المرحلة الحرجة الأولى هي ما يعرف بـ (فكر الاستنارة) أو البودهيسيتا، ويمكن تشبيه هذه المرحلة بتجربة التحول وهي التي تنشأ عندها الرغبة الأولى في أن تصبح بودهيساتفا يعمل لإنقاذ الآخرين، وعندها يبحث المرء عن البدء كبودهيساتفا ويقسم أن ينقذ كل المخلوقات عن طريق إرشادهم إلى النيرفانا بغض النظر عن الوقت الذي سيستغرقه ذلك.

فضائل الماهايانا:

إن فضائل البودهيساتفا الستة هي:

١- الكرم

٢- الخلق الجيد

٣- الصبر

٤- الشجاعة

٥- التأمل

٦- الحكمة

إن الأساس بالنسبة لتجربة البودهيساتفا هي الفضائل الستة التي تعرف باسم الكمالات الستة (أنظر الصندوق)، وعندما يجرب البودهيساتتا هذه الكمالات الست فانه يتقدم خلال خطة مؤلفة من عشرة مراحل، وتمثل كل مرحلة علامة هامة في الطريق نحو النيرفانا، وعندما يصل البودهيساتتا إلى المرحلة السابعة يصبح من المستحيل عليه التراجع ومن المؤكد أنه سيصل الى النيرفانا، وعلى الرغم من أن هذا المخطط يمثل إعادة صياغة للتعاليم الأولى فان الطريق الجديد للنيرفانا لا يختلف جذرياً عن ذاك الذي درس في الطريق الثماني، ومن الممكن رؤية أن الأقسام الثلاثة لهذا الطريق وهي الأخلاق والحكمة والتأمل موجودة ضمن الكمالات الستة.

وينظـر إلى البودهيسـاتنا الـذين يبلغـون المراحـل المتقدمـة مـن مهنـتهم علـى أنهـم كائنات قوية جداً ومماثلين في النهاية لبوذا في شكله السماوي، وبالفعل فإن من الصعب التمييز بين البوذا وبين البودهيساتفا في مرحلة متقدمة، إن اثنين من أهم مراتب البودهيساتفا هما الرب الذي ينظر للأسفل والمجد اللطيف، الأول الذي يقال بأن الدالاي لاما من التيبت يتقمصه يرمز للتعاطف والثاني للحكمة، ويصور الأول بأذرع ممدودة لمساعدة الكائنات المعذبة بينما يحمل الثاني السيف الملتهب للحكمة والذي يقطع بواسطته الجهل، ومع هذين هناك مجموعة كبيرة من البوذات والبودهيساتفات التي ينظر إليها على أنها تسكن في كون رائع غير مرئي، وكما تشرف نظامنا العالمي بالبوذا فمن المعقول الافتراض بأن أكوانا أخرى تشرفت بالمثل أيضا، ولذا فقد اخترعت الماهايانا أسماء ومواصفات للبوذا الافتراضيين ووضعتهم ضمن مجالات فاخرة، وقد أصبحت عائلة من خمسة بوذا قياسية وصورت غالباً بأشكال روحانية على شكل دائرة تعرف بالمندالاس، ويصف أحد الترتيبات الشائعة لهذه الأشكال الملونة بوذا التاريخي (ساكيا موني) وهو في مركز الدائرة ويحيط به أربع بوذات في الشمال والجنوب والشرق والغرب.وقد عرف البوذا في الغرب بآميتابها (الضوء اللامتناهي) وأصبح في بوذية شرق آسيا مركزاً لطائفة شائعة تطورت حول جنة رائعة أو أرض نقية فكر في أنه يقطنها، لقد اقسم آميتابها (المعروف في اليابان باسم أميدا بأنه إذا حصل على التنوير فسيساعد أي شخص يدعوه بشعور من الإعتقاد وبالتأكيد على أنه سيولد في بلده النقي، المعروف ب سوكهافاتي (المباركة بالسعادة).

من الواضح أن هذه التطورات التي حدثت في القرون الأولى بعد الميلاد أبعدت الماهايانا عن تعاليم بوذا الأصيلة التي تقول بأن الخلاص مسألة فردية واقتربت من القبول بأنه يمكن أن يتم **بالإيمان وبالبركة**، وحتى في **مدرسة الأرض النقية** - حيث طورت أفكار من هذا النوع - لم ينظر إلى الجنة الغربية (آميتابها) على أنها النيرفانا نفسها ولذا فإن الشخص الذي يولد مجدداً هناك سيحتاج إلى جهد نهائي بالنسبة له للحصول على التنوير.

تطورات فلسفية

ومع انتشار السوتراس الجديدة بدأ أساتذة البوذية بتأليف تعليقات وأطروحات تقدم الأساس الفلسفي لمعتقدات الماهايانا، لقد كان أشهر هؤلاء الفلاسفة ناغارجونا الذي عاش حوالي ١٥٠ بعد الميلاد وأسس مدرسة عرفت بـ (المدرسة المتوسطة) مادهاياماكا، لقد استخدم المبدأ القديم (الطريقة الوسطى) بشكلٍ جدلي متطور وبذلك طور معاني بعض التعاليم الأولية إلى نهايتها المنطقية، وعند مناقشة حقيقة النشوء في الفصل الرابع أشار إلى مبدأ (النشوء في التكافل)، لقد فهم تقليد الثيرفادا المدرسي القديم والمعروف باسم ابهيدهاما (الدارما العلوية).



البودهيساتفا أفالوكيتسفارا وهو يجسم الرحمة.وترمز الأذرع العديدة له إلى رحمته. وتحمل اليدان الممتدتان وردة وزهرة اللوتس. ويمثل أحياناً بألف ذراع ووجه مشيراً إلى ان رحمته شاملة ولانهائية.

هذا المبدأ على أنه يشير إلى نشوء العناصر الحقيقية وموتها التي اصطلح عليها باسم (دارما)، لقد نظر إلى (الدارما) على أنها حجر البناء التي تتألف منها كل الظواهر، وهي غير دائمة ولكنها حقيقية، وعلى هذا الأساس حللت الأشياء كالطاولة والكراسي على أنها مركبة من عناصر بدلاً من أن تكون وحدات مستقلة لها طبيعة ثابتة بنفسها، فعلى سبيل المثال يمكن النظر إلى الكرسي على أنه مكون من أرجل ومقعد وظهر، أي ليس هناك (كرسي) أكثر أو فوق مكوناته.

ومع ذلك فقد فسر ناكارجونا مبدأ (النشوء في التكافل) بشكل أكثر جذرية، لقد قال بأن الدارمات ليست مؤقتة فقط ولكنها تفتقر إلى أية حقيقة كامنة في ذاتها، لقد اختصر هذا بالقول بأن كل الأشياء والظواهر - الطاولات والكراسي والجبال والبشر - هي ببساطة فارغة من أي محتوى حقيقي، لقد حاجج مادهاياماكا بقوة بأن هذا لا يعني عقيدة تؤمن بـ (العدمية)، فالتعليم لا يدعي عدم وجود الأشياء وإنما يدعي أنها لا توجد على شكل حقائق مستقلة بذاتها كما يفترض الناس عادة، لقد ادعت هذه المدرسة بأن الوضع الحقيقي للظاهرة هو (شيء متوسط) بين الوجود واللاوجود، ومن هذا التفسير للـ (الطريقة الوسطى) اشتقت المدرسة اسمها.

ولهذا النمط من التفكير نتيجة مهمة أخرى وهي أنه لا يمكن أن يكون هناك فرق بين النيرفانا والولادة المجددة أو السامسرا، فإذا كان كل شيء فارغاً من الوجود الفعلي كما ناقش ناكارجونا فإن كل شيء بمعنى ما عميق بنفس المستوى، ولذا فعلى أي أساس يتم التمييز بين النيرفانا والولادة المجددة ؟ لا يمكن إيجاد أي فرق في الأشياء نفسها لأنها في النهاية كلها فارغة، ولذا فإن الفرق بينها يجب أن يكون فقط في تصورنا لها، ويعطى مثال الشخص الذي يظن حبلاً ملتوياً على أنه ثعبان في ضوء خافت ويفزع من ذلك، وعندما يدرك خطأه يهدأ روعه وتختفي رغبته في الهرب، ولذا فقد اعتقد ناكارجونا أن ما نحتاجه من أجل تحرير أنفسنا هو الرؤية الصحيحة - أي رؤية الأشياء على حقيقتها - بدلاً من الشروع في

الهرب من واقع يفترض بأنه غير كامل الى واقع أفضل، أي من السامسرا إلى النيرفانا، ولذا فقد أعيد تفسير النيرفانا على أنها رؤية نقية لما يراه الجاهل على أنه ولادة مجددة، فالنيرفانا موجودة هنا وفي هذه اللحظة فقط لو تمكنا من رؤيتها، إن إزاحة الجهل الروحي وإدراك أن الأشياء فارغة يحطم الخوف أو الرغبة التي تملكها تجاهها، لقد دعا ناكارجونا وأتباعه هذه الشبكة المعقدة من الأفكار مبدأ (الفراغ)، وقد كان هذا المبدأ مصدر إلهام لفكر الماهايانا خلال القرون تاركاً عدداً لا يحصى من التعليقات والشروحات.

وبالإضافة إلى مبدأ (الفراغ) نشأ عدد أكبر من الأنظمة الفلسفية المعقدة مثل تعاليم (العقل الخالص)، وهو نوع من المثالية تنظر إلى الوعي على أنه الحقيقة الوحيدة وتنكر الوجود الموضوعي للأشياء المادية، ويبدو أن تجربة التأمل لعبت دوراً هاماً في تطوير هذه المدرسة كما يرى من اسمها البديل اليوغا كارا أو تجربة (اليوغا)، ولا يتوفر هنا مجال كاف لإعطاء هذه القضايا المعقدة حقها أو لإعطاء تنوع فكر الماهايانا حقه بشكل عام وبإمكان القارئ أن يرجع إلى المصادر في نهاية الكتاب للحصول على تفاصيل أكثر.

خلاصة

لم ترفض الماهايانا أياً من تعاليم بوذا الأولية على الرغم من أنها فسرتها أحياناً بشكل أكثر تطرفاً، لقد نظرت الماهايانا إلى نفسها على أنها استرجعت المعاني الحقيقية لهذه التعاليم لأن التقاليد القديمة ضلت عنها، وبالفعل فإن معظم ما يوجد في الماهايانا ليس جديداً، وعلى سبيل المثال فإن فكرة التعاطف اللا أناني الذي يجد تعبيراً له في مثال البودهيساتفا كان واضحاً في حياة البوذا التي كرسها لخدمة الآخرين، ويمكن رؤية مبدأ (الفراغ) في شكله البدائي في التعاليم حول (عدم الدوام) و(عدم الوجود بالذات)، وأخيراً فإن خبرة العقل المتأمل في الغيبوبة العليا على أنها خاصة ومشرقة يمكن بسهولة أن تظلل الإستنتاج بأن الإدراك أو الوعي هو الحقيقة الأساسية.

لقد كانت الماهايانا أكثر ابتكارا في مجالات البودهولوجية المطورة والمذاهب الايمانية التقديسية التي ازدهرت حول عدد من البوذات والبوهيساتفات، لقد شكل شمال غرب الهند النواة المبكرة للماهايانا، وقد تكهن العلماء بتأثير هيليني أو زرادشتي على البوذية يفسر هذه التطورات، لقد كانت هذه المنطقة بوتقة انصهار ثقافي تدفقت عليها أفكار كثيرة مع البضائع والمواد التي كانت تأتي عبر طرق التجارة الآسيوية، وبالرغم من هذه التكهنات المثيرة فليس هناك حاجة لإثارة فكرة التأثير الخارجي لشرح هذا الصعود للمدرسة الإيمانية التقديسية في البوذية، فمن جهة كانت المذاهب الإيمانية التقديسية شائعة في الهند وقد سبقت عبادة الإله كريشنا عبادة المسيح بقرون، ومن جهة أخرى من الممكن رؤية علامات على مذهب تقديس بوذا والقديسين المشهورين الآخرين من الأيام الأولى للبوذية، ولذا فالأكثر احتمالاً أن المدرسة الإيمانية (مع الابتكارات الأخرى التي ذكرت في هذا الفصل) تطورت ذاتياً ونشأت بشكل طبيعي في دورة معينة من دورات تطور البوذية مع تطور أفكار كانت موجودة أصلاً في التعاليم الأولية.

الفصل السادس

البوذية في آسيا

آشوكا

كانت البوذية من البداية ديانة تبشيرية ، لقد تنقل بوذا ضمن مساحة واسعة وهو ينشر تعاليمه وقد أوصى تلامذته كي يفعلوا الشيء نفسه بهذه الكلمات (اذهبوا **أيها الرهبان وتجولوا من أجل خير الناس وسعادتهم**)، وقد أعطي انتشار البوذية دعماً قوياً في القرن الثالث قبل الميلاد عندما أصبح أحد أكبر الأشخاص في التاريخ الهندي –آشوكا موريا – إمبراطور الهند حوالي ٢٦٨ ق.م، لقد مد آشوكا الإمبراطوية المورية عن طريق الغزو جاعلاً منها أكبر إمبراطورية هندية حتى عهد التاج البريطاني، وبعد حملة دموية على الساحل الشرقي في المنطقة التي تدعى اليوم أوريسا شعر بالندم وتحول إلى البوذية ، ومن ثم فقد حَكَمَ بحسب المبادئ البوذية بقية حُكمه الطويل وازدهرت البوذية تحت رعايته ، وبالإضافة إلى مساعدته في تأسيس البوذية ضمن الهند فقد أرسل آشوكا أيضاً السفراء إلى بلاطات حكام الشرق الأدنى ومقدونيا بحسب ما جاء في الصحائف السنهالية لجنوب شرق آسيا ، وتوجد سجلات عن هذه البعثات القديمة في النقوش الصخرية التي تركها آشوكا في مملكته والتي تقدم بعض أكثر المعلومات الموثوقة في تاريخ الهند القديم، وليس من المعروف بالتأكيد ماذا حصل لهذه البعثات ولكن يبدو أن تلك التي ذهبت إلى

الغرب كان لها تأثير ضئيل لأن أول ذكر للبوذية في الوثائق الغربية كان في كتابات كليمنت الاسكندري في القرن الثاني ب.م (قد تشير الإشارات الكلاسيكية الأولى إلى السرمانيين والسامانيين الهنود أيضاً إلى البوذية).

البوذية في الهند

تأسست في الهند نفسها جامعات كبيرة مثل جامعة نالندا بالقرب من موقع باتنا اليوم والتي ازدهرت بين القرن السابع والثاني عشر، وقد سُجل فيها في وقت من الأوقات حوالي ١٠٠٠٠ طالب اتبعوا دروساً في مختلف فروع التعاليم البوذية مثل المنطق والنحو والمعرفة والطب ودراسة المادهاياماكا والفلسفات الأخرى، ونشأت أيضاً مراكز بوذية هامة في الجنوب والشمال الغربي الذي كان بوابة هامة إلى آسيا الوسطى والشرق الأقصى.

ازدهرت البوذية خلال النصف الأول من الألف الأولى بعد الميلاد على الرغم من أنها تعرضت لنكسة حوالي ٤٥٠ ب.م عندما دمرت قبيلة من آسيا الوسطى تعرف بالهون البيض الصوامع البوذية في أفغانستان وشمال غرب الهند، وكانت حظوظ البوذية في النصف الثاني من الألف الأولى متفاوتة وبنهايته انحدرت في الهند، وفي أواخر القرن العاشر هوجم شمال الهند، وفي هذه المرة كان الغزاة من الأتراك المسلمين الذين قاموا بسلسلة طويلة من الحملات على شكل غارات غايتها الغنائم ومبررها الجهاد، وقد عانت البوذية كثيراً من هذه الغارات لأن صوامعها غير المحصنة كانت عرضة سهلة للسلب، لقد اعتبر البوذيون وثنيين من قبل المسلمين بسبب صور بوذا والبودهيساتفا التي زينت صوامعهم، ولذا فقد حطمت الأعمال الفنية وحرقت المكتبات حتى الأرض، وفي عام ١١٩٢ حكمت قبيلة تركية شمال الهند وهي أول سلسلة من العائلات الإسلامية الحاكمة التي عرفت باسم سلطانية دلهي، ويمكن أن تكون القرون القليلة اللاحقة فترة اضطرابات وعدم استقرار حتى أسس المغول حقبة من الاستقرار النسبي والتسامح الديني في القرن السادس عشر، ولكن وضع البوذية أصبح متأخراً جداً في ذلك الوقت، وكأن البوذية حققت صدق تعاليمها وهي بأن كل ما يولد لا بد وأن يموت فقد اختفت البوذية تقريباً من البلاد التي نشأت فيها، ويمكن

مناقشة تاريخ البوذية في بقية أنحاء آسيا بشكل ملائم بتقسيمها في الشمال والجنوب، وبشكل عام تسيطر نسخة الماهايانا من البوذية في الشمال بينما يسيطر التقليد القديم في الجنوب، وبما أن واحدة فقط من المدارس الإثنتي عشرة من التقليد القديم بقيت حتى اليوم وهي بشكل رئيس مدرسة الثيرافادا فسوف أتكلم عن شكلي البوذية المتبقيين إلى اليوم وهما الماهايانا والثيرافادا.

سريلانكا

بدءاً من الدول في الجنوب حيث تسيطر الثيرافادا لعبت سيلان وهي موطن الدولة الحديثة المعروفة بسريلانكا دوراً هاماً في الحفاظ على الثقافة البوذية وتطويرها، وبحسب الصحف البوذية المحفوظة هناك فقد أحضرت البوذية إلى سيلان عام ٢٥٠ ق.م من قبل راهب يدعى ماهيندا وهو مبعوث الإمبراطور آشوكا، لقد أسس ماهيندا وزملاؤه من الرهبان مجتمعاً كهنوتيا في ماهافيهارا (الصومعة الكبيرة) في العاصمة آنورادابورا، لقد سجل تشريع بالي لأول مرة في سريلانكا حوالي عام ٨٠ ق.م نتيجة الخوف من عدم بقائه عن طريق النقل الشفاهي بسبب الحرب والمجاعة.

لقد كان أحد أشهر قاطني الجزيرة راهباً هندياً يدعى بود ذاغوسا وصل في القرن الخامس ب.م، لقد حرر بود ذاغوسا الشروح الأولى على التشريع وترجمها إلى البالية، ويمكن تشبيه مكانته وتأثيره في البوذية بأبي الكنيسة المسيحية القديس أوغسطين ٣٥٤-٤٣٠ ب.م والذي عاش قبله بقليل، لقد بقي عمل بودهاغوسا الكلاسيكي (طريق التطهير) وهو مجموعة من العقائد والإجراءات علامة بارزة في الأدب الثيرافادي.

ومن البداية التحمت البوذية بالسياسة في تاريخ سريلانكا وكانت هناك علاقة قوية متبادلة بين الدين والدولة أو بين السانغا والملك، لقد بورك الملوك من الرهبان وخدم هؤلاء الحكام كمستشارين سياسيين يفسرون تعاليم بوذا، وبالرغم من أن الرهبان منعوا في الدستور الحالي من تسلم المناصب السياسية إلا أنهم يحتفظون بتأثير كبير في الحياة العامة، لقد مرت البوذية بفترات عدة من الانحدار خلال

تاريخها في سيريلانكا، وقد حدث هذا غالباً بعد عملية اجتياح كما في حالة التاميل الهنود أو خلال فترات الاضطرابات المدنية، وقد اختفت في مناسبات عديدة تقاليد الدخول في الرهبنة، وقد أُرسل رهبان من بورما عام ١٠٦٥ ومن تايلندا بعد ذلك عام ١٧٥٣ لإحيائها من جديد، وفي العقود الحالية انقسم البلد جراء نزاع عرقي بين أغلبية السكان من السنهاليين الذين يدينون بالبوذية وبين أقلية من التاميل الذين يدينون بالهندوسية في الشمال، ومع ذلك تستمر البوذية نفسها بالازدهار بعد أن استجابت بنجاح لتحدي الاستعمار الغربي وبعد تأقلمها مع الديموقراطية الحديثة.

جنوب شرق آسيا

إن الدول الأخرى المهمة في جنوب شرق آسيا والتي تتبع الثيرفادية هي بورما التي تعرف الآن رسميا باسم مينامار وتايلند (سابقا سيام)، وربما أدخلت البوذية الثيرفادية إلى هذه المنطقة من قبل إحدى بعثات آشوكا، وقد وجدت بين سكان مون Mon الأصليين من القرون الأولى للحقبة المسيحية، لقد تطلع جنوب شرق آسيا تقليدياً إلى الهند من أجل الإلهام الثقافي، وكان تأثير البوذية والهندوسية قوياً خلال تلك المنطقة، ومن القرن الخامس عشر كانت القوة المسيطرة في المنطقة هي إمبراطورية الخمير khmer حيث كانت أشكال مختلفة من الهندوسية والماهايانا البوذية شائعة، وتدعي سجلات بورما أن بودهاغوسا زار بورما وأسس تقليداً من منحة بالي العلمية، وازدهرت مدارس متنوعة من البوذية حتى وحد الملك أنواهتا (١٠٤٤-١٠٧٧) البلد باجتياح القسم الجنوبي وأعطى ولاءه للثيرفادية على الرغم من أنها ربما كانت منتشرة هناك قبل ذلك، لقد استرد المون بعد ذلك استقلالهم ولم يخضعوا لغيرهم حتى القرن السابع عشر، وقد نهبت عاصمة أنوارهاتا (باغان) من المغول عام ١٢٨٧ وهجرت المدينة بمعابدها التي بلغ عددها الآلاف، وبالرغم من هذه المصيبة فقد تعافت البوذية وازدهرت، وتبلغ نسبة البوذيين الثيرفاديين ٨٥٪ من السكان.

تأسست الثيرفادا منذ وقت طويل في أنحاء من البلد المجاور المعروف الآن باسم تايلند وبشكل بارز في مملكة المون (هارينجايا) وكذلك في مملكة دفارافاتي، وفي القرن الحادي عشر أرسلت إرساليات تبشيرية من بورما إلى هذه المنطقة، لقد

وَجَدَ شعب الثاي (الذي وصل إلى المنطقة في القرن الثالث عشر بعد طرده من الصين من قبل المغول) التعاليم الثيرفادية اقرب إليهم من المهايانا المعقدة التي عرفوها وهم في الشمال، وتلقت الثيرافادا رعاية ملكية وحلت محل منافساتها في وقت قصير وهي اليوم الدين الرسمي لتايلند.

إن تاريخ البوذية في كمبوديا ولاوس وفيتنام لا يختلف كثيراً بالرغم من أنه مع الاتجاه شرقا فإن البوذية الثيرفادية تتراجع أمام أشكال من البوذية الماهايانية، وتوجد طوائف دينية عديدة في هذه البلاد على شكل خليط من الثيرافادا والماهايانا والديانات المحلية الأصلية، فعندما تنتشر البوذية فإنها لا تقتلع المعتقدات المحلية ولكنها تحتويها مع الأرواح والآلهة المحلية في معتقدها الكوني، ومن الشائع وجود بوذيين على مستوى القرية يلجؤون إلى الآلهة المحلية لطلب الحلول لمشاكلهم اليومية مثل علاج المرض أو إيجاد زوج ملائم وإلى البوذية لحل المسائل الأكبر حول مصير الإنسان، ويوجد مثل هذا النموذج من احتواء المعتقدات المحلية في شمال آسيا حيث تسيطر البوذية الماهايانية، لقد ازدهرت البوذية الماهايانية خلال وسط آسيا وفي التيبت والصين واليابان وكوريا، وسوف أعطي هنا لمحة عامة مختصرة عن التطورات الرئيسة في الصين واليابان والتيبت.

الصين

انتشرت البوذية شمالاً من الهند إلى آسيا الوسطى ووصلت الصين حوالي منتصف القرن الأول، وفي ذاك الوقت أقامت سلالة هان (٢٠٦ق.م -٢٢٠ب.م) سلطة الصين على آسيا الوسطى وسافر الرهبان البوذيون مع قوافل الحرير وهو الشريان الرئيس لنقل بضائع الترف من الصين إلى الغرب، وبالنسبة للصينيين العمليين كانت البوذية غريبة ومدهشة، لقد كانت العقيدة المسيطرة في الصين هي الكونفوشوسية وهي نظام من المبادئ الأخلاقية الاجتماعية جاءت من تعاليم الحكيم كونفوشيوس ٥٥٠-٤٧٠ ق.م، لقد بدت البوذية في قضايا معينة متناقضة مع القيم الكونفوشوسية، لقد اعتبرت الكونفوشوسية العائلة أساس المجتمع بينما نظر إلى دعوة البوذية الأبناء والبنات لترك عائلاتهم وهجرة العالم نظرة الشك الحذر نفسه الذي تخلقه بعض المذاهب المماثلة

اليوم، لقد بدت السانغا البوذية كمنظمة للمعتزلين على شكل دولة ضمن الدولة مما شكل تحدياً لسلطة الإمبراطور وتهديدا لنسيج الحياة الاجتماعية الذي كان مثال الكونفوشوسية، وأيضاً فقد رفض الرهبان الانحناء أمام الإمبراطور لأن الرهبان في الهند كانوا يبجلون من قبل العامة، ولقد أدت الفوارق الثقافية من هذا النوع إلى نشوء الصراع وعدم الفهم وغذت العداء نحو الدين الجديد.

ومن ناحية أخرى كان هناك الكثير الذي جذب الصينيين إلى البوذية، فالبوذية تبدو وكأنها تكمل الكونفوشوسية لأنها وصفت عالماً غير مرئي لم تتكلم عنه الكونفوشوسية، لقد سأل أحد تلاميذ كونفوشيوس مرة (**سيدي كيف يجب أن نعامل الأرواح والقديسين؟**) وكان جواب كونفوشيوس (**لا تستطيع أن تعامل الأرواح والقديسين بشكل جيد قبل أن تتعلم معاملة زملائك من البشر بشكل جيد**)، وعندما تساءل التلميذ عن الموت أعطاه كونفوشيوس جواباً مماثلاً (**لا تستطيع أن تعرف عن الموت قبل أن تتعلم حول الحياة**)، وبتأخيره ما وراء الطبيعة إلى المرتبة الثانية لم يجب كونفوشيوس على أسئلة كان كثير من الصينيين يتساءلون حولها، لقد بدت البوذية وكأنها تمتلك الأجوبة على هذه الأسئلة وعلى الأخص فيما يتعلق بالموت وما بعده، وهو موضوع ذو أهمية خاصة للصينيين بسبب الاحترام العميق الذي يكنونه لأسلافهم، ولذا بالرغم من أن كثيراً من الصينيين قبلوا الكونفوشوسية كموجه لهم في هذا العالم الدنيوي فقد تحولوا إلى البوذية لتوجيههم حول قضايا العالم الآخر.



٩- سوترا الجوهرة : إن أقدم نص مطبوع في العالم هو نسخة من سوترا الجوهرة. وهو كتابة هامة في الماهايانا. وتعود هذه النسخة إلى ٨٦٨ ب.م.

تشترك البوذية بأشياء مشابهة مع فلسفة صينية أخرى وهي التاوية Taoism، وهي نفسها نوع من روحانية الطبيعة أسست من قبل الحكيم الأسطوري لاوتزو Lao Tsu (٦٠٤ ق.م)، **إن هدف التاوية هو العيش بانسجام مع الطبيعة عن طريق تعلم الموازنة بين قوى ين ويانغ المتكاملتين** والتي يعتقد بأنهما تهيمنان على الكون، **إن ين هو المبدأ الأنثوي الذي يجد تعبيرا له في اللين والمسالمة بينما يانغ هو المبدأ الذكوري الذي يظهر نفسه في الصلابة والقوة**، ولكن هاتين الصفتين موجودتان في الأفراد وفي كل الظواهر الأخرى بنسب متفاوتة والتفاعل بينهما هو الذي يبعث على التغيير في العالم، إن الرجل الحكيم هو الذي يعرف كيف يبقي **على** التوازن بين الين واليانغ والذي يعيش بانسجام مع تغير ظروف الحياة، إن الشخص الذي يستطيع أن يكامل بين هذه القوى في شخصه يعتقد أنه يحصل على سلام روحي عميق وعلى قدرات سحرية وعلى حياة مديدة، ويضع الكتاب الكلاسيكي (كتاب الطريقة وفضائلها) الذي يعزى للاتزو المبادئ لقيادة مثل هذه الحياة السامية.

وتتقاطع البوذية مع التاوية في بعض المجالات، ويبدو أن التأمل البوذي موجه للهدف نفسه وهو الهدوء الداخلي (والفعل الساكن) الذي تبحث عنه التاوية، وقد **نشأت مدرسة من البوذية الصينية تعرف باسم تشان** Cha'n **(وهي أصل الزين Zen اليابانية) من جراء هذا التفاعل**، ومع ذلك فبينما كانت التعاليم التاوية غير منهجية وأكدت على الهدوء والإلهام فقد قدمت البوذية إطاراً فلسفياً منهجاً وتقاليد من التعاليم الكتابية، وقد أعجبت هذه الصفة من البوذية طبقة النبلاء الصينية المعروفة بولعها بالعلم والدراسة، ومع مرور الزمن تبنيت البوذية كثالث (الديانات الثلاث) للصين بالرغم من أنها لم تستطع أن تتخلى تماماً عن ارتباطاتها الأجنبية، لقد حج عدد من الرهبان الصينيين إلى الهند للبحث عن نصوص وعلى الأخص فاهسيان (٣٩٩-٤١٣ ب.م) هسوان تشانغ (٦٣٠-٦٤٤ ب.م) وتسنغ (٦٩٥- ٦٧١ ب.م).

وخلال القرون تضاءلت حظوظ البوذية في الصين، ووصلت إلى ذروتها تحت حكم أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٧ ب.م) على الرغم من ازدهار عدد من الأسياد التانتريين بعد ذلك خلال الحكم المغولي (القرن الثالث عشر والرابع عشر)، لقد أدى وصول

الشيوعية إلى الحكم في الصين إلى قمع البوذية والديانات الأخرى وخاصة أثناء الثورة الثقافية عام ١٩٦٦، ومع ذلك فهناك دلائل عدة اليوم على تجددها في الصين الشعبية بينما ظلت دائما قوية في تايوان.

اليابان

إن المركز المهم الأخر للبوذية في الشرق الأقصى هو اليابان، لقد وصلت البوذية إلى اليابان في القرن السادس عن طريق كوريا ولكنها استمدت معظم إلهامها من البر الصيني، لقد شهدت فترة هيان Hein (٧٩٤- ١١٨٥ ب.م) تطور مدارس مثل تينداي والـ eclectic وقد أتى كلاهما من الصين، وبدأت مدرسة الأرض الطاهرة (**نوع متميز من البوذية اليابانية أسست حول الإخلاص لبوذا أميدا**) أيضاً بالتطور حوالي هذا الوقت ووصلت ذروتها في فترة كاماكورا Kamakure (١١٨٥-١٣٣٣ ب.م).

لقد تفاعل نيشيرين Nichiren (١٢٢٢-١٢٨٢ ب.م) ضد ما رآه من تهاون وهروب في مدرسة الأرض الطاهرة فأسس حركة دينية جديدة جعلت محور التجربة الدينية أو الطقسية بديلاً عن بوذا آميدا، وبدلاً من ترديد المانترا على الشكل (**الطاعة لبوذا آميدا**) للتأكد من الولادة المجددة في جنة آميدا ردد أتباع نيشرين المانترا (**المجد للوتس سوترا**) أو **للدارما الحقة**، لقد أحس أنه يمكن للمرء بالتركيز على ترديد هذه الكلمات بإيمان وإخلاص أن يحقق كل أهدافه المادية والروحية، لقد حاول نيشرين تأسيس برنامج من الإصلاح الديني - الاجتماعي على المستوى الوطني ورأى دوراً كبيراً لليابان كمركز تنتشر منه تعاليمه، والى درجة ما فقد تحققت أهدافه، وتردد اليوم كلمات (**المجد للوتس سوترا**) **أو للدارما الحقة** يومياً كجزء من الطقوس الدينية من قبل الملايين من أتباع مدرسة نيشرين والمدرسة العالمية المتفرعة عنها.

وعلى نقيض البوذية الهندية فإن للبوذية اليابانية توجه اجتماعي قوي وتؤكد على قيم المجموعة والمجتمع، لقد أنكر معلمون مؤثرون مثل شينران (١٢٦٢-١١٧٣ ب.م) الرهبنة وشجعوا الرهبان على الزواج ولعب دورهم الكامل في الحياة الاجتماعية (ذكرت التقاليد على أنه مارس ما بشر به وتزوج من راهبة وكان له خمسة أولاد منها).

ومع مدرسة نيشيرين والأرض الطاهرة فإن المدرسة الثالثة المهمة من البوذية اليابانية هي مدرسة زين Zen، والتي أتت إلى اليابان من كوريا والصين - حيث عرفت هناك باسم تشان - في أوائل القرن الثالث عشر، وتشتق زين من السنسكريتية دان والتي تعني حالة الغياب، ويلعب التأمل دوراً مركزياً في عبادة زين، وتشير زين إلى أن التنوير يحصل في لحظة من اليقظة الغريزية والتي هي فوق الفهم العقلي والمنطقي، وهي تلاحظ أن هذه الومضات من البصيرة والتي تعطيها الاسم ساتوري satori غالباً ما تنطلق خلال عملية دنيوية عندما يكون العقل هادئاً ومسترخياً بدلاً من أن يكون مشغولاً بالدراسة والتحليل العقلي، وتشبه هذه الخبرة وقوع أسفل وعاء فهي تحدث فجأة وبدون توقع، وتشبه زين العقل غير المستنير ببركة ماء موحل، وتحاجج بأن أفضل طريقة لتنقيته هي في تركه على حاله بدلاً من تحريكه بدراسة العقائد، ولزين ميل أيقوناتي iconoclastic وترى أن دراسة النصوص والعقائد والأفكار تقف عائقا أمام اليقظة الروحية، وبدلاً من ذلك فهي ترى في التأمل أفضل طريقة للحصول على الصفاء الذهني، وتعتمد زين أيضاً على الدعابة والبداهة والتصرف التلقائي والشعر والأشكال الأخرى من التعبير الفني لإرسال فكرة التنوير كيقظة فوق العقل يمكن نقلها من المعلم إلى المريد ولكنها في النهاية ابعد من الكلمات والرسائل.



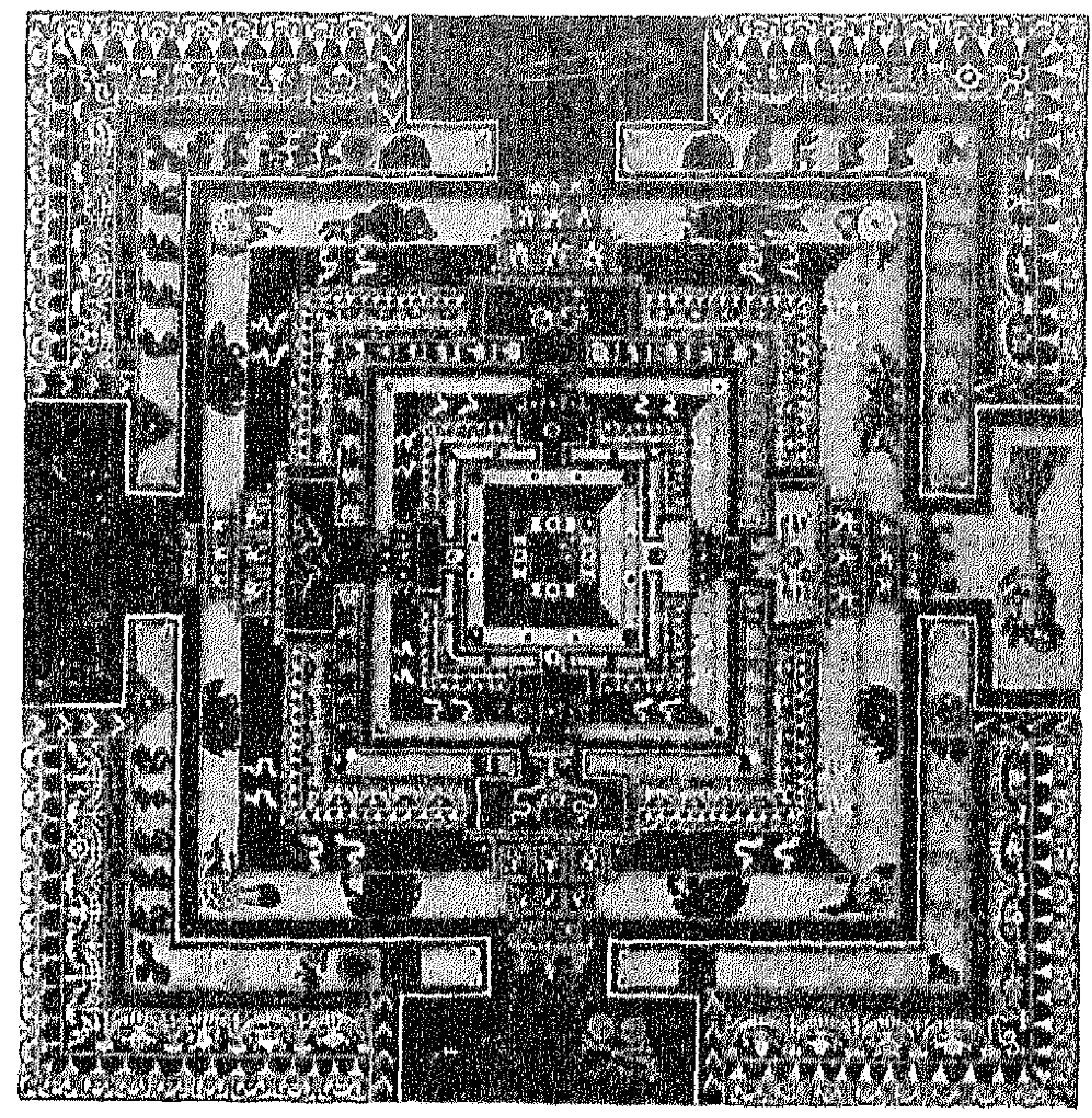
١٠- بودهيدارما : يعترف له بأنه جلب شكل تشان من البوذية (والتي اشتقت منها زين) إلى الصين في القرن السادس ميلادي. وتقول الأسطورة أنه قضى تسع سنوات في التأمل مواجهاً لحائط. وهذا الرسم هو لهاكوين الذي عاش في اليابان في القرن الثامن عشر.

ومن الفرعين الرئيسين لزين فإن مدرسة سوتو soto تعتقد بأن التأمل المهدئ هو كل ما يلزم بينما تستخدم رينزاي Rinzai Zen تقانات أخرى كأساس للتأمل، وأكثرها شيوعاً هو استخدام الحزازير غير القابلة للحل والمعروفة باسم Ko-ans، وتسأل إحدى هذه المعضلات: ما الصوت الناجم عن التصفيق بيد واحدة؟ ويعطي معلم زين هذه المعضلة لأحد تلاميذه ليتأمل فيها وليعود بعد فترة زمنية بحلٍ لها، ولا يقبل منه أي حل عقلاني مثل الجواب " صمت" وما كان يبحث عنه بدلاً من ذلك هو الإيضاح بأن التلميذ قد أدرك أن الحقيقة هي ابعد من الفهم المنطقي، وفقط عندما يستسلم العقل عن بحثه الدائم لاختزال الحقيقة بنظرية ما، يبدأ التنوير.

التيبت

إن آخر مركز للثقافة البوذية والتي ستذكر هنا هي التيبت، وبسبب صعوبة الوصول إلى هذه المنطقة الجبلية وغياب الطرق التجارية المعروفة فلم تدخل البوذية إلى التيبت حتى القرن الثامن ب.م، ويعرف شكل البوذية الذي ازدهر هناك باسم تانترا Tantra (عجلة الرعد) أو بسبب الاستخدام المتكرر للأغاني والأشكال البوذية السحرية - فاجرايانا -.

وتتبنى الفاجرا يانا vajrayana فلسفة الماهايانا ونظرتها إلى الكون وتُضيف إليها رمزية غنيّة ومجموعة من العبادات الدينية الخاصة بها، إن لُب هذه الحركة هو مجموعة من المقالات المعروفة باسم تانتراس Tantras والتي ألفت في الهند في الجزء الأخير من الألف الأولى، وتستخدم التانتراس أشكالاً روحية machlabs وصيغاً سحرية mantras وهي مكتوبة بلغة سرية يمتلك مفاتيحها الداخلون في المذهب فقط، ويتم الدخول في المذهب عن طريق غورو guru (في التيبيتية لاما) يعلم المعنى الرمزي للكلمات والرموز لطلابه، وتشبه التانتاراس بصيغتها الخارجية المدارس الغربية في السحر الطقسي والتي تستخدم الدوائر والمخمسات والمكعبات والكلمات السحرية، وبما أن النيرفانا والسامسرا غير مختلفين فإن التانتراس تعلم بأن أي شيء حتى الرغبة يمكن استخدامها ايجابياً كوسيلة للتحرر، ولا تعتبر العواطف شيئاً شريراً بحد ذاتها ولكنها شكل قوي من الطاقة التي يمكن



١١- الماندلا الرملية : تصنع هذه الماندلا من حبّات الرمل الممزوجة مع خامات ملونة تُوضع باستخدام قمع ذي فوهة ناعمة. وهي تتطلب صبراً كبيراً ومهارة فائقة لصنعها وتهدم عندما ينتهي الاحتفال الذي صنعت من أجله. وقد صنعت هذه الماندلا في سويسرا عام ١٩٨٥.

استخدامها كالكهرباء في أغراض متعددة، إن الرغبة الجنسية بشكل خاص والتي اعتبرت سابقاً كأكبر عقبة لتطور الرهبان دينياً هي قوة كامنة يمكنها إذا استخدمت بشكل ملائم أن تسرع من التطور الروحي.

ويمكن فهم التعاليم التانترية على مستويات عدة، وقد شكل بعض البوذيين مجموعات سرية مشابهة لأداء طقوس من طبيعة جنسية، ورأى آخرون أنه يجب عدم أخذ التعاليم الرمزية على شكلها الظاهر، فمعظم الفن والأيقونات التيبيتية لها محتوى جنسي واضح، ولكن هذا يفسر عادةً بطريقة رمزية بحيث أن الشريك الذكوري يمثل الوسائل الماهرة (التقانات المختلفة التي يقود بها البودهيساتفات الكائنات إلى التنوير) بينما تمثل الأنثى الحكمة ومن اتحادهما المقدس تنتج النيرفانا، إن أكثر مدارس البوذية في التيبت نفوذا هي مدرسة غيلوغ با Gelug-pa التي أسسها تسونغ خا با song-kha-pa في القرن الرابع عشر، وترى تانترا بالطريقة

اللاحقة كعرية لاحتواء الحقيقة الروحانية العميقة بدلا من دعوة الناس لقلب العادات الأخلاقية، إن رهبان هذه المدرسة مثل أمثالهم الهنود الأوائل يتمسكون حرفيا بقانون الرهبنة والذي يلح من بين متطلباته العديدة على عزوبية الرهبان، ومع ذلك فإن إحدى المدارس تسمح بشكل من الرهبنة المتزوجة.

إن الدالاي لاما في التيبت عضو في مدرسة غيلوغ با، إن كلمة (دالاي) كلمة مغولية وتعني "المحيط" أو (الحكمة) وهو لقب أطلقه الحاكم المغولي آلتان خان في القرن السادس عشر، وتشمل مهام مكتب الدالاي لاما المجالات الدينية والدنيوية، وقد حكمت التيبت بسلسلة من الدالاي لاما حتى الأوقات الحديثة عند ما اضطر الدالاي لاما الحالي وهو الدالاي لاما الرابع عشر إلى الفرار من البلد عام ١٩٥٩ نتيجة الاجتياح الصيني عام ١٩٥٠، ومنذ ذلك الوقت وهو يقطن في دارماسالا في شمال غرب الهند، وظلت التيبت منذ ذلك الوقت تحت الحكم الشيوعي، وقد أدى برنامج منظم وقاس من التطهير العرقي إلى لجوء أكثر من مليون تيبتي إلى الهند، وقد دمر العديد من الصوامع البوذية الفاخرة مع كتبها وأعمالها الفنية التي لا تقدر بثمن على الرغم من حصول بعض من إعادة البناء المحدود لمواقع معينة من وقت لآخر،

إن تاريخ البوذية في آسيا وطريقة تفاعلها مع الثقافات الأخرى ممتع ومعقد أيضا، لقد حاولت في هذا الفصل أن أُعطي انطباعا فقط عن غنى البوذية وتنوعها في القارة الآسيوية، ولقد حذفت المساهمات الهامة التي قدمتها ثقافات هامة أخرى مثل كوريا من التطور التاريخي بسبب عدم توفر الفراغ في هذا الكتاب، ويمكن العثور على دراسات أكثر تفصيلاً حول التقانات التي ذكرت سابقاً في قسم (قراءات أكثر) في نهاية الكتاب.



التأمل Meditation

يمكن تقدير أهمية التأمل في البوذية بتذكر أن بوذا حصل على التنوير إثناءه، إن صورة البوذا وهو جالس القرفصاء متأملاً هي أحد أكثر المواضيع شيوعاً في الفن البوذي، وهي تذكر دوماً بالعلاقة الوثيقة بين التأمل والتنوير، وترى كل مدارس البوذية تقريباً في التأمل الطريق السريع نحو التنوير وهو يشكل جزءاً رئيساً من البعد (التجريبي) للبوذية كدين.

إن التأمل هو أحد أقسام الطريق الثماني الثلاثة ولذا فهو يحتل موقعاً رئيساً في التجربة البوذية، ومع ذلك فإن المصطلح الأعم للتأمل في البوذية هو bhavana الذي يعني (رعاية) أو حرفياً (صنع ما سيحصل)، وهذا المعنى الحرفي ملائم جداً لأن التأمل هو الإستراتيجية البوذية الرئيسة ليعيد الإنسان تشكيل نفسه على النحو الذي يريد.

الأصل الهندي

كانت أساليب التأمل المستخدمة في زمن بوذا جزءاً من تقانة روحية شائعة يشترك فيها الرافضون samanas، وأولئك المتقيدون بالدين الذين اتبعوا التقليد الأرثوذكسي للديانة الهندية البراهمانية، وقبل عدة قرون من زمن بوذا أدى ازدياد الاهتمام بالبعد

الداخلي للحياة الروحية إلى تأليف مجموعة من الأدب الديني عرف باسم أوبانيسالا upanisala ، لقد حاولت هذه الأطروحات أن تفسر العلاقة بين الذات الداخلية أو الروح والأساس الكوني للوجود ووصفت تقانات روحية تستطيع بواسطتها النفس وعي هويتها بأكبر قدر من الواقعية براهمان، وبالرغم من أن بوذا اختلف مع الفلسفة المؤسسة لهذه النصوص إلا أنه كان متعاطفاً مع رسالتها وهي أن الخلاص يجب أن يكون من الداخل ويمكن أن يأتي فقط من فهم الإنسان العميق لطبيعته.

وبالإضافة إلى تعاليم أوبانيسالا فقد كان بوذا عالما أيضاً بمعتقدات تقليد اليوغا وبإجراءاته، وبالرغم من أن متبعي اليوغا أسسوا أنفسهم طبقا لتعاليم فلسفية رفضها بوذا إلا أنهم طوروا مجموعة متطورة من التقانات لتطويع العقل والجسم معاً، ولكلمة يوغا علاقة بالكلمة الانكليزية yoke التي تعني العبء، ويتضمن تمرين اليوغا تقانة روحية متطورة من أجل التحكم بقوى العقل وتطويعها، وربما كان معظم القراء على علم بمختلف التمارين الجسدية وأوضاع اليوغا التي تهدف إلى جعل



١٢- بوذا يتأمل : يظهر هذا التمثال الضخم بوذا وهو يتأمل في وضعية اللوتس ويداه مسترخيتان في حضنه. بوذا آميدا ، كاماكورا اليابان القرن الثالث عشر ميلادي.

الجسم مرتاحاً وصحياً، وتفعل تقانات التأمل المستخدمة في اليوغا الشيء نفسه تقريبا للعقل مقدمة مجموعة من الأدوات من أجل توظيف العقل لكامل طاقته، ولذا فإن بوذا لم يخترع التأمل ولكنه كما سنرى فيما بعد قدم تعديلات هامة على طرق معاصريه مما يجعل التأمل البوذي متميزاً في النظرية والتطبيق معا.

طبيعة التأمل

ما هو التأمل بالضبط ؟ يمكن تعريف التأمل على أنه حالة متغيرة من الوعي تحرض بطريقة يمكن التحكم فيها، وليس هناك شيئاً شديد السرية حول ذلك إذ أن الناس عادة ما يدخلون في حالات شبيهة بالتأمل ويخرجون منها بشكل تلقائي أثناء حياتهم اليقظة العادية، إن جزءاً مهماً من حياة اليقظة يخترق من قبل أحلام اليقظة والتخيلات والأوهام حيث ينسحب العقل من الواقع ليتأمل المشهد الداخلي العام، ويمكن لهذه الأحلام أحياناً أن تكون مسيطرة كما يحصل أثناء قيادة السيارة حيث يجد المرء نفسه فجأة في نهاية رحلته ولا يتذكر إلا قليلا مما جرى أثناءها، ويمكن لتناول العقاقير أن ينتج تأثيرات مشابهة لتلك التي تختبر أثناء التأمل.

إن الاختلافات الرئيسة بين التأمل والحالات المذكورة سابقاً هي درجة التحكم المجربة وعمق التجربة ومدتها، وأيضاً على نقيض العقاقير فليست هناك تأثيرات جانبية أو (رحلات سيئة) في التأمل، وكذلك فإن الفوائد تتراكم وتستمر، وفي حالة اليقظة الطبيعية يدخل العقل في حالات الاستغراق ويخرج منها بشكل مستمر، وعندما يقاطع الشخص وهو يحلم فقد يقول بأن عقله كان في مكان آخر، إن الهدف من التأمل ليس أن تكون في مكان آخر بل أن تكون تماماً هنا بوعي ويقظة كاملين، والهدف من التأمل هو التحكم بالعقل وجعله يركز بدلاً من أن يتشتت، ويعطي شعاع الليزر مثالاً جيداً على ذلك، فعندما ينتشر الضوء يكون بدون قوة نسبياً ولكنه عندما يركز يمكنه أن يخترق الفولاذ، وباستخدام تشبيه الصوت بدلاً من الضوء فإن الهدف من التأمل هو (السكون) العقلي وتخفيض الضوضاء العقلية التي تهدر الطاقة النفسية.

تمرين التأمل

تعترف نظرية التأمل بالعلاقة الوثيقة بين الجسم والعقل، ولذا فقبل أن يصبح العقل هادئاً تماماً يجب ترتيب الجسم، إن الوضعية التقليدية في التأمل هي الجلوس متربعا وباستخدام مخدة إذا كان ذلك ضرورياً حيث يكون الظهر مستقيماً والرأس مائلاً قليلاً واليدان مستقرتين على الحضن، وتعرف هذه الحالة بـ (وضعية اللوتس)، وبالرغم من أنها قد تبدو غير طبيعية أول الأمر بالنسبة للمبتدئ إلا أنه من الممكن الحفاظ عليها لفترة طويلة مع قليل من التمرين، وتسمح هذه الوضعية للمتأمل أن يتنفس بعمق واسترخاء وأن يبقى مرتاحاً ولكن يقظاً، ويمكن إجراء التأمل بأية وضعية مريحة ولكن هناك خطر النوم إذا كانت الوضعية مريحة جداً، إن التحكم بالعقل أثناء النوم صعب جداً على الرغم من وجود تمرين تيبتي يعرف باسم (يوغا الحلم) ينمى فيه الوعي خلال أحلام جميلة.

وعندما تتأسس الوضعية المريحة يتم اختيار موضوع مناسب للتأمل، وعندما ترك بوذا بيته درس التأمل على يد أستاذين متخصصين في التأمل بشكل منفصل، ومن المعقول الافتراض أن ما تعلمه — بشكل رئيس كيفية الدخول في حالة عميقة من السكينة والبقاء فيها — كان نموذجاً للتأمل في ذاك الوقت، ما هي التعاليم التي أعطاها الأستاذان لبوذا ؟ إننا لا نعلم بالتأكيد ولكن ربما نصحاه بأن يركز على تنفسه أو أن يكرر نشيداً معيناً بصمت في نفسه أو ربما يكونان قد وضعا له جسماً يبعد عنه عدة أقدام - ربما جسم صغير موجود كل يوم كزهرة أو مزهرية — وطلبا منه أن يدرسه بعناية وأن يلحظ كل تفاصيله حتى يستطيع أن يعيد تشكيل صورة ذهنية كاملة له وعيناه مغلقتان، إن الهدف من هذه التمارين هو جعل العقل يستغرق كلياً في الموضوع الماثل أمامه حتى يصبح الوعي بالموضوع والجسم متداخلين في حقل موحد من الوعي.

ليس من السهل التمكن من التأمل لأن العقل يطرح دوماً ملهيات، وتقارن المصادر البوذية العقل بقرد يتأرجح من شجرة لأخرى وهو يمسك غصناً بعد آخر، وربما يرغب القارئ أن يخضع هذا للتجربة عن طريق التركيز على أحد الرسومات

في هذا الكتاب مثل الرمل ماندالا في الصفحة (٧٦) وأن يلاحظ كيف يتململ العقل من هذا التأمل بعد وقت قصير ويتحول عنه إلى شيء آخر، إن التركيز الثابت والمستمر يأتي فقط مع التدرب المستمر ويستغرق هذا عدة أشهر قبل التوصل إلى نتائج، إن تعلم التأمل مماثل إلى حد ما لتعلم آلة موسيقية، فهو يحتاج إلى التصميم والتفرغ والتدرب اليومي.

وتوضح نتائج التأمل عن نفسها على شكل قدرات عالية على التركيز وعلى زيادة الإحساس بالهدوء والسكينة الداخليين واللذين يمتدان بعد ذلك إلى الحياة العادية، وتنحسر قبضة التشتت والقلق والشكوك والمخاوف على العقل ويصبح المتأمل بشكل عام أكثر (انسجاماً مع نفسه) ويعيش بشكل أكبر مع هنا والآن، وقد يحقق المتأملون الكفء في النهاية حالة ممتعة من الاستغراق تعرف باسم سامادهي Samadhi وهي حالة من السكينة الداخلية التامة والثابتة، لقد استطاع بوذا تحت رعاية أستاذيه أن يحقق حالتين عاليتين من هذا النوع أصبحتا فيما بعد مدمجتين في التأمل البوذي الرسمي وتعرفان على أنهما الجهانا السابع والثامن.

الجهاناس jihanas أو مستويات الغيبوبة

إن أساس هذا المفهوم هو الجهاناس أو مستويات الغيبوبة، ففي الجهانا الأول والأخفض يفكر العقل بشكل متأرجح ولكنه مفعم بالاستقلال والفرح، وفي الجهانا الثاني يزاح التفكير المتأرجح ويحل محله الاستغراق وشعور سام بالوعي، وفي الجهانا الثالث يزاح الفرح بواسطة السكينة وفي الجهانا الرابع تتنازل السكينة لحالة توصف بأنها (فوق السرور والألم)، ويبدو أن هذه الخبرات الروحانية تتعدى التصنيفات اللغوية ولذا فليس من السهل إيجاد المصطلحات الملائمة لوصفها، ومع ذلك يمكننا رؤية الميل لتكون الحالات العليا من الغيبوبة أكثر سموا ورفعة وأن تخلي العناصر الأكبر والأكثر عاطفية مثل الاندهاش والفرح مكانها لاستغراق تأملي أعمق وأكثر تهذيباً، ويقود هذا إلى حالة دعيت (تركيز وحيد) حيث يبقى العقل مثبتاً بشكل حصري على موضوع التأمل بطريقة مشابهة لتركيز شعاع الليزر الذي ذكر من قبل.

وفي الجهانا الرابع يمكن للمتأمل أن يطور قدرات نفسية مختلفة تماثل ما يعرف في الغرب بالإدراك فوق الحسي، وتشمل هذه الحالة القدرة على رؤية حوادث تحدث بعيدا وسماع أصوات من بعد، وتذكر حيوات سابقة وقراءة أفكار الآخرين، ويمكن أيضاً الحصول على مجموعة من القدرات النفسية الحركية المختلفة مثل القدرة على الطيران في الهواء والمشي فوق الماء وخلق جسمين متماثلين، وليس هناك شيء يميز البوذية عن غيرها في هذه القدرات فهي شائعة في الفكر الهندي وبإمكان أي كان أن يحصل عليها إذا أراد توظيف الوقت والجهد اللازمين لذلك، وبالرغم من القول بأن بوذا امتلك هذه القدرات إلا أنه سخر من أولئك الذين يجهدون للحصول عليها مشيراً إلى أنه بدلاً من تخصيص سنوات من العمر لتعلم المشي على الماء فإنه من الأبسط الحصول على خدمة ربان زورق.

وخلال المراحل الأعمق من التأمل تصبح الوظائف الجسدية الرئيسة خاضعة والتنفس معلقا تقريبا، ويقترح البحث العلمي أن العقل يولد موجات ألفا أكثر في هذه الحالة مؤشراً على حالة من الإبداع المستريح، وقد يحدث عدد من الأحاسيس غير العادية مثل إدراك الضوء مع شعور بالعوم أو الخفة في الساقين، وفي المستويات الأعمق من حالة الغيبوبة الترانس يقال بأن النقاء الطبيعي للعقل والذي ينقى من قبل سكون الوعي اليقظ يظهر نفسه بإشعاعه الكامل، ويشبه العقل في هذه الحالة الذهب المنقى في حالته الطبيعية حيث تشكل منه مجوهرات ثمينة من قبل حرفي ماهر، وفي هذه الحالة فإن الحرفي الماهر هو المتأمل والذي بوصوله إلى المستويات العميقة للنفس مجهز ليقوم بمهمة إعادة صياغة نفسه.

ويقدم الأدب المتأخر قائمة مؤلفة من ٤٠ موضوعاً للتأمل، ويتطلب اختيار الموضوع الصحيح مهارة وتمييزاً، ولذا فإن المعلم ضروري من أجل تقدير شخصية الطالب وإيجاد المستوى الصحيح الملائم لشخصيته وحاجاته الروحية، وعلى سبيل المثال يمكن أن يوجه شخص متعلق بمتع الجسد للتأمل في الجسد على أنه فان ومعرض للشيخوخة والمرض ومليء بالشوائب من أجل إضعاف التعلق به، ومن جهة أخرى يمكن أن يوجه شخص بسيط التقوى ليتأمل بوذا وفضائله أو ليتأمل في

(الجواهر الثلاث) وهي بوذا والدارما والسانغا، وهناك أيضاً مواضيع أكثر قوة مثل الأجساد المخلوعة أو المحترقة في محرقة الجثث، ويهدف التأمل هنا إلى مواجهة الموت وإدراك ضرورة الاستفادة ما أمكن من الفرص النادرة التي تمنحها الولادة المجددة.

الحالات الأربع غير المقاسة

بين أكثر مواضيع التأمل شيوعاً (الحالات الأربع غير المقاسة) وهي اللطف المحب والتعاطف والفرح المتعاطف والسكينة، يتضمن إجراء اللطف المحب تطوير حالة من الإحسان والصداقة والإرادة الطيبة تجاه كل الكائنات الحية، ويبدأ المتأمل بنفسه كموضوع للإرادة الطيبة، إن هذا المتطلب ليس نرجسياً وإنما هو مؤسس على الملاحظة الذكية بأن الإنسان قادر على حب الآخرين بمقدار ما يحب نفسه، إن الشخص المتأثر بتقدير منخفض لذاته أو المهووس بكره نفسه لن يكون قادراً على حب الآخرين بشكل كامل، إن المتأمل يراجع نقاطه الجيدة والسيئة بأكبر قدر من الموضوعية بينما يحتفظ بعقله بفكرة (أرجو أن أكون سعيدا وخاليا من العذاب) ثم يمد دائرة الخير والإحسان للآخرين تدريجياً، وهو مثل (حارث بارع يقوم بتحديد مقاطعته أولا ثم تغطيتها) شاملاً عائلته وجيرانه وبلدته فمقاطعته فوطنه ثم كل المخلوقات في الاتجاهات الستة، وهو يتذكر عند أية فرصة أعمال الخير التي قدمها الآخرون إليه حتى في حيواته السابقة، إن رعاية هذه الإرادة الطيبة نحو العالم وتطويرها تحرر العقل من التحيز والتعصب، ويبدأ المتأمل بالتصرف بعطف وبدون تمييز تجاه الآخرين، وتطور الحالات الثلاث الباقية غير المقاسة بطرق مشابهة، فمن خلال التعاطف يتحد المتأمل بآلام الآخرين ومن خلال الفرح المتعاطف يفرح لسعادتهم وحظوظهم السعيدة، إن تطوير السكينة يؤكد أن هذه الحالات متوازنة تماماً وملائمة لكل الظروف.

التأمل والكونية

في التقسيم الثلاثي للكون البوذي والمكون من محيط الرغبات الحسية ومحيط الشكل الخالص ومحيط اللاشكل تتقاطع طبوغرافية العوامل المادية والروحية، وضمن هذا المخطط يوجد عالم البشر مع الجهان الأخفض في الأسفل

ضمن محيط الرغبات الحسية بينما توجد الجهاناس الأربعة في المستوى الثاني ضمن محيط الشكل الخالص، وتبقى الآلهة التي تسكن في المستويات المختلفة ضمن محيط الشكل الخالص في الحالة العقلية نفسها التي يبقى ضمنها المتأمل في الجهانا الملائمة، إن النتيجة لهذا هو أن التأمل يقدم خبرة بالجهانا، لقد أضيف إلى المخطط الأصلي للجهاناس الأربعة أربعة أخرى وضعت في محيط اللاشكل، وتتعلق هذه الأشكال الأربعة الأعلى من الجهاناس اللاشكلية (دعيت بذلك لأن وجودها في المحيط اللاشكلي له هدف عقلي محض وراء كل شكل) بالمستويات الكونية الأربعة التي يمكن أن تتم فيها الولادة المجددة.

ولذا فإن المخطط البوذي النهائي للكونية التأملية يتألف من ثماني جهاناس موجودة في الثلثين العلويين من الكون، وقد حصل بوذا تحت إشراف معلمه الأول على الجهانا السابعة وحصل تحت إشراف معلمه الثاني على الجهانا الثامنة، وذكرت أيضاً الجهانا التاسعة المعروفة باسم (الحصول على التوقف) في بعض المصادر، وفي هذه المرحلة تتوقف كل العمليات الذهنية تماماً وحتى القلب يتوقف عن النبض وكذلك التنفس، وتستمر الحياة ببساطة معتمدة على الحرارة المتبقية في الجسم، وتخبرنا المصادر بأن الشخص يمكنه أن يبقى في هذه الحالة لعدة أيام ثم يخرج في النهاية منها وبشكل مفاجئ عند زمن محدد مسبقاً، وتوصف هذه الحالة بأنها الأقرب لاختبار أي شخص حالة النيرفانا النهائية وهو على قيد الحياة، وتوصف على أنها (ملامسة النيرفانا بالجسد).

التأمل الباطني

إذا كان التأمل تقنية قوية على هذا الشكل فلماذا أدار بوذا ظهره لمعلميه ؟ إن سبب مغادرة بوذا لمعلميه هو أنه رأى أن الدخول في حالة الاستغراق مهما كان سعيداً وهنيئاً إلا أنه تحول مؤقت وليس حلاً نهائياً للألم، إن حالات التأمل مثل كل شيء في السامسرا مؤقتة ولا تدوم، إن ما عجز هؤلاء الأساتذة وتقنياتهم التأملية عن تقديمه هو نوع التفكير الفلسفي الباطني العميق في طبيعة الأشياء واللازم من أجل التحرر الكامل.

ولذا فقد طور بوذا تقنية تأملية جديدة تماماً لإحلالها محل التقانات التي تعلمها من أستاذيه، لقد أضاف بوذا إلى التقانات التي وضعت مسبقاً والتي تعرف في البوذية باسم (التأمل المهدئ) تقانة جديدة دعيت بـ (التأمل الباطني)، ولم يكن الهدف من التأمل الجديد السلام والسكينة ولكن توليد بصيرة ناقدة، وبينما يهدأ النشاط العقلي في التأمل المهدئ في مرحلة مبكرة (عند الوصول إلى الجهانا الثانية) فإن الهدف في التأمل الباطني هو جعل الوظائف الحرجة في حالة تحليل فكري يوصل لحالة المتأمل العقلية، وعادة تستخدم تقانتا التأمل المهدئ والتأمل الباطني وجهاً لوجه في الجلسة نفسها، فقد يستخدم التأمل المهدئ أولا لتركيز العقل بينما يستخدم التأمل الباطني للفحص والتحليل، ومن المستحيل إجراء التأمل الباطني دون الوصول إلى حالة الهدوء للجهانا الأولى على الأقل.

وفي التأمل الباطني يختبر المتأمل كل ناحية من نواحي تجربته الموضوعية ويحللها إلى أربعة أصناف:

الجسم وحواسه الفيزيائية والمشاعر والمزاج والأنماط العقلية، ويمكن في جلسة نموذجية مد الوعي بصعود التنفس وانحساره إلى باقي الجسم، ويلاحظ حدوث أي إحساس مهماً كان ضئيلاً مثل التنميل والآلام والحك والدافع للحركة والخدش، ولا يتجاوب المتأمل مع هذه التحريضات لأن هدف التجربة هو ملاحظة نشوء هذه المشاعر الحسية وانحسارها فقط دون التفاعل معها في الطريقة العادية ونصف الآلية، وعن طريق تعلم الملاحظة دون الانخراط بالتجربة يمكن لنموذج (التحريض – رد الفعل) الذي هو أساس أغلب التصرف الإنساني أن ينكسر، وشيئاً فشيئاً يتولد الإدراك بأن الإنسان حر ليختار كيف يتفاعل في كل المواقف بغض النظر عن الزر الذي يضغط عليه، وتضعف سيطرة العادات القديمة ويحل محلها شعور جديد بالحرية، ويمكن مد هذا التحليل تدريجياً إلى الجسم بكامله ويخضع التفكير مثل مقص الجراح الذي يقص الأجزاء والوظائف المختلفة من الجسم، ومن هنا يزداد الوعي بأن الجسم ليس أكثر من مجموعة مؤقته من العظام والأعصاب والأنسجة وهو بالتأكيد ليس موضوعاً جديراً بأن نعجب ونتعلق به كثيراً.

ويوجه الاهتمام بعد ذلك إلى نشوء المشاعر، وتسجل المشاعر السارة وغير السارة أثناء صعودها وانحسارها، ويقوي هذا الإدراك بعدم الدوام ونشوء المعرفة بأنه حتى الأشياء التي تبدو أكثر قربا منا مثل عواطفنا هي عواطف انتقالية تأتي وتذهب، ثم تلاحظ الحالة الراهنة للموضوع والتذبذب المستمر بنوعيته وقوته الكلية، وأخيراً يلاحظ أيضاً تيارات الأفكار التي تمر عبر العقل، ويجب على المتأمل أن يقاوم الإغراء بأن يضع نفسه في أحلام اليقظة وخيالاتها التي لا بد أن تنشأ، وبدلاً من ذلك فهو يلاحظ ببساطة عن بعد بينما تتلاحق الأفكار والصور وراء بعضها البعض معتبراً إياها مثل غيوم تمر عبر سماء زرقاء صافية أو مثل فقاعات تصعد إلى أعلى كأس، ومن هذه المراقبة المحايدة يتضح تدريجياً أنه حتى الذهن الواعي للشخص ليس أكثر من عملية كأي شيء آخر، إن معظم الناس يعتبرون حياتهم العقلية على أنها جوهرهم الداخلي الحق (يمكن للمرء أن يفكر بعبارة ديكارت الشهيرة أنا أفكر إذن أنا موجود) ولكن التأمل الباطني يصرح بأن تيار الوعي هو مجرد مظهر واحد فقط من مظاهر التفاعل المعقد لعوامل الشخصية وليس هو (الشخص حقاً).

إن الإدراك بأنه لا يوجد موضوع خفي يمتلك هذه الأحاسيس المختلفة والمشاعر والحالات والأفكار وأن كل ما يوجد هو التجارب نفسها هو التبصر التحويلي الذي يطلق التنوير، إن الاعتراف بأنه لا يوجد في النهاية موضوع له رغبات يضعف الرغبة وبالنهاية يحطمها نهائياً جاعلاً منها (شجرة نخيل تحطمت جذورها) بحيث لا تنمو مرة أخرى، وتجريبياً يبدو وكأن ثقلاً كبيراً قد أزيح عن الذات بغرورها وأوهامها وشهواتها وخيباتها والنتيجة ليست نوعاً من الحياد لأن العاطفة لم تقهر وإنما حررت فقط من الجذب المشوه للأنا، ويبدأ آخرون بالمجيء بشكل أكمل ضمن المجال العاطفي للشخص بينما تتباطأ الرغبة الأنانية للذات وتتوقف ليحل محلها شعور عميق ودائم بالسلام والطمأنينة.

الخلاصة

للتأمل أهمية كبيرة وهو محوري لتجربة الطريق الثماني، ومن خلال رعاية حالات مثل الإحسان واستخدام تقانات التأمل المهدئ يتطور اهتمام أخلاقي عميق

تجاه الآخرين، وبناء على هذا الاهتمام يبدأ الفرد بالتصرف بشكل تلقائي من أجل سعادتهم ويضع اهتماماتهم بمستوى اهتماماته، وتتصح النسخة البوذية للقاعدة الذهبية (**بما أن كل الكائنات الحية تبحث عن السعادة وتتهرب من الألم على المرء أن لا يفعل أي شيء لأي إنسان لا يحب أن يفعله لنفسه**) وبالعمل طبق مبادئ من هذا القبيل يصبح المرء كاملا بالفضيلة، وبرعاية الفهم التحليلي من خلال التأمل الباطني تنشأ الحكمة ويبدأ المرء بفهم حقيقة المعاناة وحقيقة النشوء وحقيقة التوقف وحقيقة الطريق.

إن العناصر الثلاثة للطريق الثماني وهي الأخلاق والتأمل والحكمة هي مثل الأضلاع الثلاثة للمثلث، ومع ذلك فان التأمل ليس مجرد وسيلة للفضيلة والحكمة، وإذا كان كذلك فإنه سيكون مجرد تقانة يتم التخلي عنها بمجرد الحصول عليها، وبما أن البوذا استمر في ممارسة التأمل حتى بعد حصوله على التنوير فيمكن الاستنتاج بأن الحالات التي يمر بها الإنسان من خلال التأمل هي تجارب إنسانية هامة، ويمكن إجراء مقارنة مع السباحة، فالشخص يتعلم السباحة ولكنه بعد ذلك يسبح للمتعة وللصحة التي يمنحها هذا التمرين بدلاً من أن يتوقف عن ممارستها.

الفصل الثامن

الأخلاق Ethics

الدارما Dharma

الأخلاق هي أولى الأقسام الثلاثة للطريق الثماني وهي أساس الحياة الدينية، إن تطوير الأخلاق شرط أولي لرعاية التأمل والحكمة وتطويرهما، ولكي يعيش الإنسان حياة أخلاقية جيدة عليه أن يعيش طبقاً لأحكام الدارما، ولكلمة دارما معان عدة، ولكن الفكرة الرئيسة هي أنها قانون عام يحكم النظام الفيزيائي والأخلاقي للكون، ولم توضع الدارما من قبل كائن علوي وليست خاضعة لسيطرته كما أن الآلهة أنفسهم يخضعون لحكمها، وفي البوذية يستخدم هذا المصطلح ليدل على (النظام الطبيعي) للأشياء، وكما ذكر سابقاً فإنها تدل أيضاً على المجموعة الكاملة من (التعاليم الأخلاقية) الدينية للبوذية، وهناك إحساس بأن هناك علاقة قوية بين الإثنين بمعنى أن التعاليم البوذية صادقة موضوعياً ولذا فهي توافق (النظام الطبيعي).

ويمكن ترجمة الدارما بـ (القانون الطبيعي) وهو مصطلح يلتقط المعنيين الرئيسين وهما مبدأ النظام والتراتبية الملاحظين في الظواهر الطبيعية وفكرة وجود قانون أخلاقي عام اكتشف من قبل أشخاص متنورين مثل بوذا، (لاحظ أن بوذا اكتشف الدارما ولم يخترعها)، وتنظم الدارما كل ناحية من نواحي الحياة مثل

القوانين الفيزيائية التي تضبط شروق الشمس وتوالي الفصول وحركة النجوم، وفي النظام الأخلاقي تظهر الدارما في شريعة الكارما التي تتحكم بالطريقة التي تؤثر فيها أعمال الأفراد الأخلاقية في حيواتهم الحاضرة والمستقبلية، إن العيش طبقا للدارما وتطبيق متطلباتها يقود إلى السعادة وتحقيق الذات والخلاص أما إهمالها أو تجاوز تعاليمها فيؤدي إلى معاناة لا متناهية في دورة الولادة المجددة السامسرا.

وبالاشتراك مع التقاليد الأخلاقية الهندية بشكل عام فإن البوذية تعبر عن متطلباتها الأخلاقية على شكل واجبات، إن أكثر الواجبات الأخلاقية شيوعاً هي تلك الموجودة في المبادئ الخمسة مثل الامتناع عن القتل والسرقة وغيرها (كما في الصندوق)، وتطبق هذه المبادئ على كل شخص بدون استثناء، وعندما يصبح المرء بوذيا فإنه (يقبل) هذه المبادئ رسميا في إطار طقسي، وتعترف شكل الكلمات المستخدمة بالطبيعة الحرة للواجب المفترض.

الفضائل

على الرغم من الأهمية الكبيرة للمبادئ في الأخلاق البوذية فإن للحياة الأخلاقية جانباً أبعد من مجرد إتباع القواعد، ويجب أن لا تطبق القواعد فقط بل يجب أن تتبع للأسباب الصحيحة والحوافز الحقة، وهنا يصبح دور الفضيلة هاماً، ويمكن تشبيه الأخلاقية البوذية بقطعة نقود ذات وجهين : فعلى أحد الوجهين توجد القواعد وعلى الوجه الآخر توجد الفضائل، وفي الحقيقة يمكن التفكير في المبدأ ببساطة على أنه قائمة من الأشياء التي لن يقوم بها إنسان فاضل أبداً.

المبادئ البوذية :

هناك خمسة مجموعات رئيسة من المبادئ البوذية وهي :

المبادئ الخمسة.

المبادئ الثمانية.

المبادئ العشرة.

الخطوات العشر الجيدة للعمل.

قوانين الانضباط في الأديرة.

إن المجموعة الأكثر تطبيقاً هي المبادئ الخمسة الأولى الموجهة لعامة الناس، وهي تحرم القتل والسرقة واللا الأخلاقية الجنسية والكذب وتناول المخدرات، ويوجد جوهر الأخلاق البوذية في المبادئ الأربع الأولى، ويضاف إليها مبادئ أخرى أكثر صرامة بحسب مكانة الممارس لها أ ولتلاءم مناسبات احتفالية محددة، ويعتبر المبدأ الخامس المتعلق بتناول المخدرات مهما بالنسبة لعامة الناس، بينما تتبنى المبادئ الثمانية أو العشرة والتي تضيف إلى المبادئ الخمسة تقييدات مثل الوقت الذي تؤخذ فيه وجبات الطعام عادة كالتزامات أخلاقية في الأيام المقدسة، إن تعاليم الانضباط في الرهبنة الموجودة في قانون الرهبنة هي مجموعة تضم أكثر من ٢٠٠ قاعدة (يختلف العدد الدقيق قليلا بين المدارس المختلفة) والتي تضع بالتفصيل الضوابط للحياة الاجتماعية في الأديرة

وتؤكد المصادر القديمة أهمية تطوير العادات والتوجهات الصحيحة بحيث يصبح التصرف الأخلاقي الشكل الطبيعي والعفوي للقيم والمعتقدات الداخلية المتكاملة جيداً بدلاً من مجرد الالتزام البسيط بقواعد خارجية، وهناك عدد من الصيغ التي تجعل هذه المبادئ واضحة، وبالنسبة لشخص يتبع المبدأ الأول يقال في النصوص (بتركه السيف والهراوة فإن الإنسان يعيش بتعاطف ورحمة مع جميع الكائنات الأخرى)، ولذا فالامتناع عن القتل هو مثالياً نتيجة للتعاطف مع الكائنات الحية بدلاً من كونه مجرد قيد مفروض على ميل طبيعي، ويتطلب تطبيق المبدأ الأول بشكل كامل فهما عميقا للعلاقة بين الكائنات الحية (بحسب البوذية وأثناء الدورة الطويلة من التناسخ فإننا كلنا آباء وأمهات وأبناء.... الخ لبعضنا البعض) مع توجه ثابت للخير والعطف البشري، وبالرغم من أن قلة أتقنوا هذه الإمكانات لكنهم عودوا أنفسهم باحترامهم للمبادئ على الاقتراب من التنوير.

إن الفضائل - وكما أشار إلى ذلك أرسطو - هي حول الأمور الصعبة، ومهمة الفضائل هي مقاومة التوجهات السلبية أو (الرذائل) مثل الكبرياء والأنانية، إن القوائم الطويلة من الفضائل والرذائل والتي تظهر في الكتابات اللاحقة مأخوذة من مجموعة رئيسة مؤلفة من ثلاث فضائل وهي الفضائل البوذية الثلاث المؤلفة من الغيرية والإحسان والتفهم، وهي ضد (جذور الشر) الثلاث المذكورة في الفصول

الأولى وهـي الجشع والكراهية والخداع، وتعني الغيرية غياب الأنانية التي تلطخ التصرف الأخلاقي بإعطاء مكانة مميزة لحاجات الفرد، ويعني الإحسان توجهاً لعمل الخير لكل الكائنات الحية، ويعني التفهم معرفة الطبيعة البشرية والخير كما هو موضح في عقائد مثل الحقائق النبيلة الأربع.

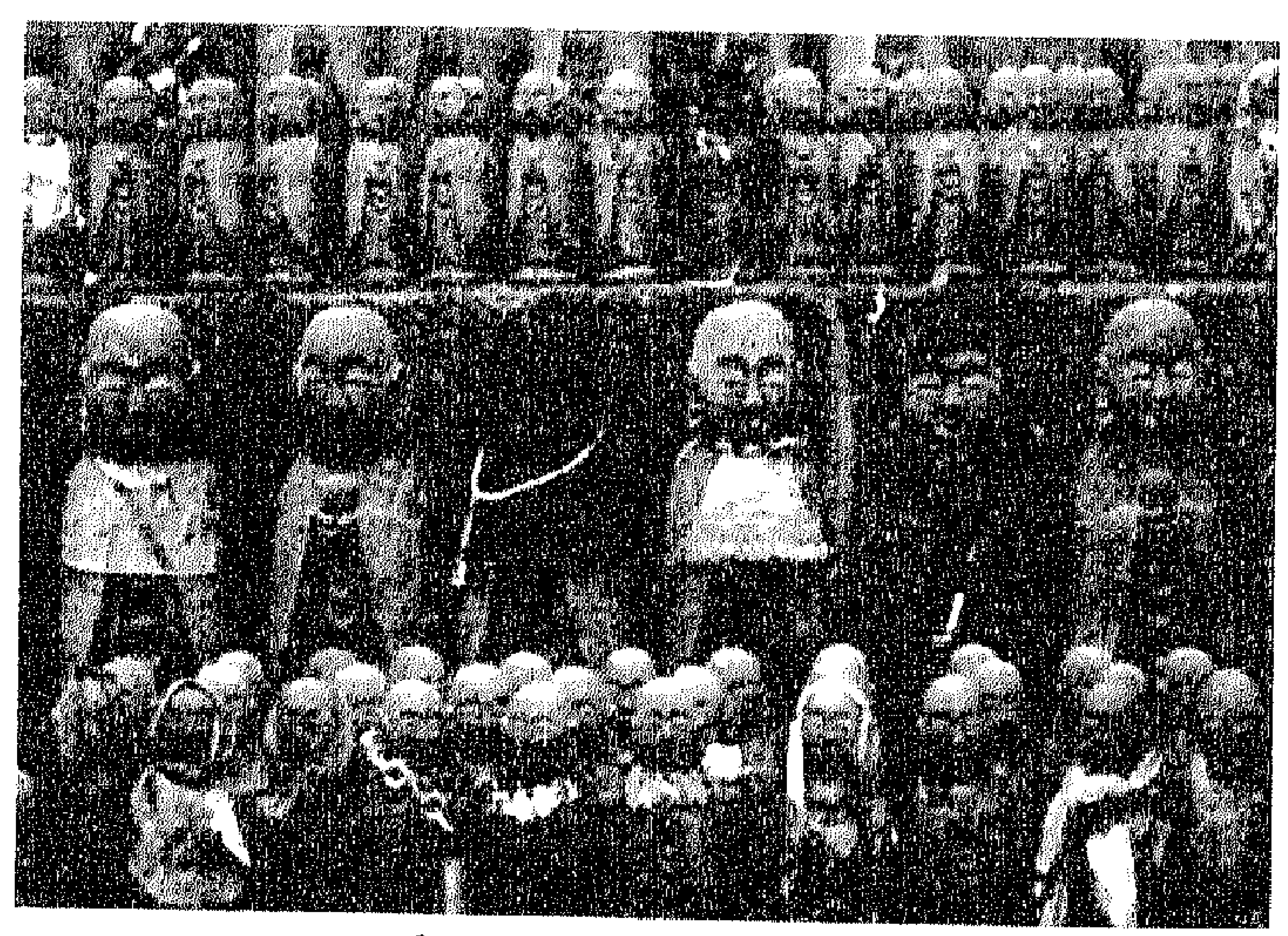
آهيمسا Ahimsa أو حرمة الحياة

إن الحجر الأساس في الأخلاق البوذية هو اعتقادها بحرمة الحياة، لقد شجع هـذا المثال بشدة من قبل حركات الرفض غير الأرثوذكسية مثل البوذية والجانسيسية (وهي تقليد رافض مشابه للبوذية من بعض النواحي تأسست قبلها بقليل)، ولكنها أثرت بشكل متزايد في المدارس الأرثوذكسية، لقد رفضت التضحية بالحيوانات والتي لعبت دوراً هاماً في الطقوس الدينية في الهند منذ الأزمنة القديمة من قبل البوذية والجانسيسية على أنها قسوة ووحشية، وبسبب تأثيرهما جزئياً فقد استبدل التقديم الرمزي للخضار والفواكه والحليب التضحيات الدموية في الطقوس البراهيمية الأرثوذكسية تدريجياً، وبين الرافضين فإن مبدأ حرمة الحياة أو أهيمسا بولغ فيه أحياناً، فرهبان الجانسيسية على سبيل المثال اتخذوا أكبر الاحتياطات ضد تدمير أي شكل من أشكال الحياة مثل الحشرات حتى ولو تم ذلك عفوياً، لقد كان لإجرائهم هذا تأثير على البوذية، ولذا فقد استخدم رهبان البوذية غالباً منخلاً ليتأكدوا من عدم القضاء على الكائنات الحية الدقيقة الموجودة في مياه الشرب، لقد تجنبوا أيضاً السفر خلال شهر الأمطار كي لا يدوسوا على الحشرات والمخلوقات الصغيرة الأخرى التي تتكاثر بعد هطول المطر، وفي بعض الثقافات البوذية ينظر إلى الزراعة باحتقار بسبب القتل الحتمي للكائنات الحية أثناء فلاحة الأرض، ومع ذلك فعلى الرغم من أن البوذية شاركت النظرة الهندية التقليدية (وكذلك الهندوأوروبية) حول حرمة الحياة فإنها اعتبرت القضاء على الحياة خطأً أخلاقياً فقط عندما يتم بشكل مقصود أو نتيجة للإهمال.

الإجهاض

كيف تؤثر التعاليم الأخلاقية البوذية مثل أهيمسا في توجهها لمشاكل أخلاقية معاصرة كالإجهاض؟ هل البوذية مع (حق الحياة) أم أنها مع (الاختيار)؟ إن الاعتقاد البوذي بالولادة المجددة يقدم بكل وضوح بعداً جديداً للنقاش حول الإجهاض، فهو من ناحية يقدم السؤال (متى تبدأ الحياة ؟) وهو سؤال هام في موضوع الإجهاض - في ضوء جديد تماماً، وبالنسبة للبوذية فإن الحياة مستمرة بدون وجود نقطة بداية محددة، فالولادة والموت هما كباب دوار يمر المرء عبره مرة بعد أخرى، ولكن هل يزيد الاعتقاد بالولادة المجددة من جدية الإجهاض أم ينقصها؟ قد يعتقد بأنه ينقصها لأن كل ما تم بواسطة الإجهاض هو تأجيل الولادة المجددة إلى وقت لاحق، ولكن المصادر التقليدية لا تعتقد ذلك وتنظر إلى القتل المتعمد للإنسان في أية مرحلة من مراحل الحياة على أنه خطأ بغض النظر عن حقيقة ولادته مرة أخرى.

وبالرغم من أن الحياة من أحد المعاني مستمرة إلا أن البوذية تعتقد أيضاً أن كل حياة موجودة ضمن شخص ما (أي وجود الفرد على أنه جورج أو جورجينا) ولها بداية ونهاية واضحتان، ومن الأوقات الأولى كانت المصادر البوذية واضحة جداً بأن حياة الإنسان تبدأ بالحمل، وهذا رأي تشترك فيه المجتمعات البوذية المعاصرة، وبالطبع فقد كان لدى السلطات البوذية القديمة معرفة ناقصة وخاصة فيما يتعلق بالحمل، ولكن معرفتهم بتطور الجنين كعملية متدرجة تبدأ عند نقطة محددة لم تكن



١٣- تماثيل البودهيساتفا جيزو وهي تمثل الأطفال الذين أجهضوا.

مختلفة عن نظرة العلم الحديث، وبتفسير المصادر الأولى على ضوء المكتشفات العلمية الحديثة مثل عملية الإباضة فقد وصل معظم البوذيين إلى الاستنتاج بأن حياة الفرد تبدأ عند التلقيح وهي لحظة التقاء النطفة مع البويضة، ولهذا السبب فإن الإجهاض غير شرعي في الدول البوذية الأكثر تشددا مثل سريلانكا وتايلند مع استثناءات محددة مثل عندما يكون ذلك ضرورياً لإنقاذ حياة الأم، ويختلف هذا الإجراء في مناطق أخرى من آسيا، ففي اليابان (حيث للبوذية تأثير كبير دون أن تكون الدين الرسمي للدولة) فإن الإجهاض مباح، وتجرى حوالي مليون عملية إجهاض كل عام، ويمكن مقارنة هذا الرقم بـ ١,٥ مليون في الولايات المتحدة والتي يبلغ عدد سكانها أكثر من ضعف سكان اليابان، أما العدد الكلي السنوي للإجهاض في المملكة المتحدة فهو حوالي ١٨٠٠٠٠.

وبينما تعترف البوذية بأن الإجهاض يعني أخذ الحياة فإنها معروفة أيضاً بحبها للخير والتسامح والتعاطف، ويشعر بعض البوذيين المعاصرين وخاصة في الغرب أنه يمكن الحديث أكثر في هذه القضية مما هو موجود في المصادر القديمة وأنه قد تكون هناك ظروف يبرر فيها الإجهاض، فمن جهة تشكلت الآراء البوذية القديمة في مجتمع كانت له نظرة مختلفة لمكانة المرأة من نظرة الغرب الحديث إليها، لقد أثار أنصار المرأة الانتباه إلى الطبيعة الأبوية للمجتمعات القديمة وإلى القهر المؤسساتي للنساء خلال القرون، (ينكر آخرون صحة أي من هذه الادعاءات التاريخية باستثناء أماكن وأزمنة محددة)، وقد حوجج أيضاً بأن حق الإجهاض هو جزء من تحرر المرأة وهو ضروري لإزالة الظلم عنها، إن البوذيين المتعاطفين مع هذا الرأي والذين يدعمون حق المرأة في الاختيار قد يوصون بالتأمل والمشاورة مع معلم بوذي كوسيلة تستطيع فيها المرأة الاتصال بإحساساتها وأن تقرر بانسجام مع ضميرها.

لقد ظهر إسهام بناء لمعضلة الإجهاض في العقود القليلة الماضية من قبل البوذيين اليابانيين، فمشكلة الإجهاض في اليابان حادة بشكل خاص لأن حبوب منع الحمل لم تكن شائعة بسبب تأثيراتها الجانبية على مايبدو، وبغياب منع حمل فعال فقد

ظهرت صناعة إجهاض كفؤة ومربحة لمعالجة مشكلة الحمل غير المرغوب فيه، وبعد مواجهة الألم والعذاب اللذين تولدهما هذه الظروف فقد فتش المجتمع الياباني في موروثه الثقافي القديم وطور حلاً فريداً على شكل ميزيكو كويو mizuko kuyo وهي صلاة تذكارية للأطفال المجهضين.

إن هذا الطقس عموماً بسيط حيث يمثل شكل بسيط للبودهيساتفا jizo الطفل المطروح، وتزين الصورة غالباً بصدارة الطفل وتوضع الألعاب على جانبه (انظر الصورة السابقة)، وتقليدياً كانت الصورة توضع في البيت أو في معبد صغير على الطريق ولكن في السنوات القليلة الماضية ظهرت معابد خاصة تقدم صلوات تذكارية بدرجات مختلفة من التعقيد، ويمكن أن يأخذ الاحتفال أشكالا عدة ولكنها عادة ما تشمل الوالدين وأحياناً أفراداً آخرين من العائلة يظهرون احترامهم للصورة بالانحناء أو إشعال شمعة أو القراءة من السوترا البوذية، ويمكن تكرار الطقس على فترات مثل الذكرى السنوية للإجهاض، وتعترف الطبيعة العامة للاحتفال في الوقت نفسه بالطفل المفقود وتساعد أيضاً أولئك الذين ليست لهم علاقة بذلك بأن يتقبلوا الحدث على المستوى العاطفي، لقد أظهر بعض رجال الدين في الغرب اهتماماً بإتباع هذا المثل الياباني مطورين نسخة مسيحية لطقس الميزوكوكويو لاستخدامه في الكنائس في الغرب، وربما دل هذا على الطريقة التي بدأت فيها البوذية تؤثر في الثقافة الغربية.

الحقوق

بينما ذكرت الواجبات لم يذكر شيء حتى الآن عن الحقوق، إن الشعارات مثل "الحق في الاختيار " و" الحق في الحياة " وفي سياق القتل الرحيم "الحق في الموت " هي العملة الرائجة في الحوار المعاصر، ومع ذلك فليست هناك في المصادر الأولى للبوذية كلمة تتعلق بفكرة (الحقوق) بالمعنى المفهوم في الغرب، لقد برز مفهوم الحقوق في الغرب نتيجة توليفة خاصة من التطورات الاجتماعية والسياسية والفكرية لم تتكرر في أي مكان آخر، ومنذ عصر التنوير في القرن الثامن عشر فقد احتل هذا المفهوم المركز في الحوار السياسي والقانوني وقدم لغة مرنة وغنية

يمكن للأفراد بحسبها أن يعبروا عن حقوقهم في العدالة، ويمكن تعريف الحق بأنه قوة قابلة للتطبيق تعطى للفرد، ويمكن النظر لهذه القوة كفائدة أو منحة تسمح لحاملها أن يفرض ادعاء على الآخرين أو ليبقى منيعاً من الطلبات التي يحاول الآخرون فرضها.

وإذا لم تمتلك البوذية أي مفهوم عن الحقوق كيف يكون من الملائم أن تستخدم لغة الحقوق عندما تناقش القضايا الأخلاقية ؟ قد يحاجج البوذي بأن أطروحة الحقوق غير ملائمة للبوذية لأن الحقوق والواجبات متعلقة ببعضها، ويمكن اعتبار الحق على أنه مقابل للواجب، إذا كان لـ (آ) واجب نحو (ب) فإن (ب) سيقف موقف المستفيد وله حق في أية فائدة تأتي من أداء الواجب من قبل (آ)، وبالرغم من أن الحقوق غير مذكورة بوضوح في المصادر البوذية إلا أنه يمكن التفكير فيها على أنها موجودة ضمنا في واجبات الدارما، فإذا كان على الملك واجب الحكم بالعدل يمكن القول أن للمواطنين الحق في معاملة جيدة، وعلى مستوى أعم إذا كان على كل إنسان واجب أن لا يقضي على الحياة فان للكائنات الحية الحق في أن تعيش، وإذا كان على كل فرد واجب أن لا يسرق فان لكل إنسان الحق في أن لا يحرم من ملكيته بشكل ظالم، ولذا فيمكن المحاججة بأن مفهوم الحق موجود ضمنا في الدارما وأن الحقوق والواجبات تشبه نوافذ منفصلة على الخير العام للعدل.

حقوق الإنسان

وصفت لوائح حقوق الإنسان المعاصرة مثل الإعلان العام حول حقوق الإنسان للأمم لمتحدة للعام ١٩٤٨ قائمة من الحقوق الأساسية التي اعتقد أنها مملوكة من كل البشر بدون تمييز في العرق أو الجنس، ويوافق العديد من البوذيين على هذه اللوائح، ويمكن سماع زعماء البوذية مثل الدالاي لاما كثيرا وهو يصادق على المبادئ التي تحتويها هذه اللوائح، ويبدو أن بعض هذه الحقوق قد ذكر في المصادر البوذية القديمة، فالحق في أن لا يخضع الإنسان للرق يمكن العثور عليه في التحريم القانوني للتجارة بالبشر، ويمكن المحاججة بأن حقوق الإنسان الأخرى موجودة

أيضاً في المبادئ البوذية، فالحق في أن لا تقتل أو تعذب على سبيل المثال يمكن التفكير فيه على أنه موجود في المبدأ الأول.

وبالإجمال مع ذلك فان لدى المصادر التقليدية القليل مما تقوله حول أنواع الأسئلة التي تعتبر الآن من قضايا حقوق الإنسان، وفي غياب مفهوم واضح حول الحقوق فإن هذا ليس غير متوقع بالطبع، ولكن على البوذية أن تقدم بعض التفسير عن كيفية تجذير حقوق الإنسان في العقيدة البوذية، كيف يمكنها أن تفعل ذلك ؟ يمكنها البدء بالإشارة إلى أن حقوق الإنسان مرتبطة بشكل وثيق بمفهوم الكرامة الإنسانية، وفي الحقيقة فإن العديد من لوائح حقوق الإنسان تشتق بوضوح الأول من الثاني، ويعتقد بأن كرامة الإنسان في العديد من الأديان مشتقة من حقيقة أن البشر خلقوا على صورة الإله، وبالطبع فإن البوذية لا تقدم هذا الادعاء، ويجعل هذا من الصعب رؤية ما يمكن أن يكون مصدراً لهذه الكرامة الإنسانية في البوذية، وإذا لم يبحث عنها على المستوى اللاهوتي فيجب البحث عنها على المستوى البشري، ففي البوذية يبدو أن الكرامة الإنسانية تأتي من قدرة البشر على الحصول على التنوير كما أوضحت ذلك شخصية بوذا التاريخية وقديسو البوذية الأوائل، إن بوذا عبارة عن احتفال حي بالقدرة البشرية الكامنة، وبالمعرفة العميقة والعطف اللذين يمثلهما - وهي صفات يمكن لكل البشر تقليدها – يمكن العثور على الكرامة الإنسانية، إن البوذية تعلمنا بأننا كلنا بوذا محتملين (وتعبر مدارس الماهايانا عن هذا بالقول بأن كل الكائنات تمتلك طبيعة البوذا أو بذور التنوير)، وبسبب هذه الإمكانية العامة للتنوير فإن كل الأفراد جديرون بالاحترام وتتطلب العدالة لذلك وجوب حماية حقوق كل فرد.

أخلاق الرهبان

تنظم قواعد الدير حقوق الراهب أو الراهبة، إن قواعد الدير هي جزء من تشريع بالي وهي مجموعة مختصرة من المعلومات حول كل نواحي نظام الرهبنة، وهو يصف بداياته وتاريخه والمجالس الأولى والخلافات حول قضايا التصرف الرهباني وأوصاف حول نشأة تقاليد النظام، وضمن قواعد الدير هناك مجموعة من

٢٢٧ مادة تعرف باسم patimokkha باتي موكخا والتي تقدم تعليمات مفصلة عن كيفية حياة الرهبان كمجتمع، ومن نواح عدة يمكن مقارنة قواعد الدير بقواعد القديس بينيدكت والتي أدخلت في القرن السادس كنموذج للحياة اليومية للرهبان المسيحيين، لكن قواعد الدير البوذية أطول من ذلك بكثير، ومن بين أشياء أخرى فإنها تقدم وصفا للظروف التي أدت إلى إدخال كل قاعدة والتعديلات التي أجريت عليها نتيجة لظروف جديدة، ويمثل البوذا على أنه مؤلف كل هذه القواعد على الرغم من أن الدليل الداخلي يقترح أن كثيرا منها يعود إلى بعض الوقت بعد وفاته، وتقدم هذه المبادئ معلومات تقنية كثيرة حول نوع الملابس وطريقة بناء المساكن وارتفاع الأسرّة عن الأرض ونوع الحصر المستخدمة...الخ.

وبالإضافة إلى التفاصيل المطولة حول الحياة اليومية فإن قواعد الدير تتضمن المبادئ الأخلاقية الرئيسة مثل تلك ضد القتل والسرقة والكذب، إن سجلات المخالفات الخاصة تحت هذه القواعد مع ذلك هي مصدر مهم جداً للمعلومات من الناحية الأخلاقية، ويوضح العديد من تاريخ الحالات المسجلة الكثير من الضوء اللازم على المبادئ الأخلاقية التي تقف وراء القوانين نفسها، وبينما تقدم أطروحات بوذا حول القواعد الأخلاقية بشكل مختصر مع قليل من التفسير، فمن الممكن في قواعد الدير الشرح بصورة أوضح طبيعة الخطأ المرتكب، إن التعليقات والمناقشات المتعلقة بتفسير قواعد الدير هي أقرب ما وصلت إليه البوذية إلى علم الفلسفة الأخلاقية وتقدم مصدراً لازماً لتوضيح نقاط كثيرة عن الأخلاق.

إن المبادئ المختلفة للرهبنة التي ذكرت سابقاً قد تعتبر مزيجاً من المبادئ الأخلاقية مع تمارين إضافية مصممة لتطوير الانضباط والتحكم بالنفس، وتتضمن العديد من قواعد الرهبنة التفتيش والالتزام ضمن مجتمعات الأديرة بحيث تبقى النزاعات والخلافات ضمن حد أدنى، ويقدم نظام الرهبنة نفسه كنموذج أخلاقي مصغر للعالم الكبير خارجه.

الوسائل الماهرة

إن عقيدة الوسائل الماهرة هي ابتكار هام في أخلاق الماهايانا، وتوجد جذور هذه الفكرة في مهارة بوذا في تعليم الدارما والموضحة في مقدرته على ملائمة رسالته للمحتوى الذي قدمت فيه، وعلى سبيل المثال فعند حديثه إلى البراهمانيين يشرح بوذا غالبا تعاليمه بالإشارة إلى طقوسهم وتقاليدهم.قائدا مستمعيه خطوة خطوة لرؤية صحة المبدأ البوذي أو خطأه، لقد شكلت الحكايات والاستعارات والقصص والأمثال جزءاً هاماً من مخزونه التعليمي وقد فصلت بمهارة لتلاءم مستوى جمهوره.

لقد طورت الماهايانا هذه الفكرة بصورة جذرية بالقول في نصوص مثل لوتس سوترا بأن التعاليم الأولية ليست معروضة بمهارة فقط ولكنها كانت (وسائل ماهرة) بكاملها، ولهذه الفكرة نتائج عديدة على الأخلاق، وإذا كانت التعاليم الأولى مؤقتة بدلاً من دائمة فإن المبادئ التي تحتويها ستكون من طبيعة مؤقتة أيضاً، ولذا فإن القواعد الواضحة والصارمة التي تصادف مرة بعد أخرى في المصادر القديمة والتي تحرم أنواعاً محددة من الأعمال يمكن أن تفسر أكثر كخطوط إرشادية لأولئك في مرحلة أولية ولكنها في النهاية ليست ملزمة، وبشكل خاص فإن البودهيساتفا وهم الأبطال الجدد للماهايانا يمكن أن يدعوا ارتفاعاً خلقياً متزايداً ومرونة مؤسسة على اعترافهم بأهمية التعاطف، ويقسم البودهيساتفا على إنقاذ كل الكائنات وهناك دليل في عدد من النصوص على عدم الصبر على القواعد والتعليمات التي تقف عائقاً أمام البودهيساتفا أثناء تأدية رسالته، إن الضغط لتعليق القواعد أو لويها في صالح التعاطف يؤدي في النصوص إلى تأسيس قواعد جديدة للتصرف للبودهيساتفا والتي تسمح أحياناً بكسر هذه المبادئ، وحتى القتل يقال بأنه مبرر لمنع شخص من ارتكاب جريمة مروعة (مثل قتل إنسان متنور) والتي سيعاني القاتل من جرائها عقاباً كارمياً، ويقال أيضاً بأن قول الكذب والخروقات الأخرى للمبدأ مسموحة أيضاً في ظروف استثنائية.

ليس من الواضح دائماً مع ذلك إلى أي مدى تبتعد هذه (الأخلاق الجديدة) عن المفهوم التقليدي، وعلى سبيل المثال إذا كان قتل مهاجم أو معتد هو الطريقة

الوحيدة لمنعه من ارتكاب جريمة القتل فيمكن المحاجة بأن مثل هذا العمل ليس ضد المبدأ الأول، وكما هو الأمر دائماً فان النية مهمة في هذا الصدد، وما هو مقصود في مثل هذه الحالة قد يكون تحييد الهجوم وليس التسبب في قتل المعتدي، وما دامت درجة القوة المستخدمة هي الحد الأدنى اللازم لإيقاف المهاجم، وحتى القوة المميتة قد تكون مبررة كملجأ أخير إذا كانت النية هي حماية الحياة بدلا من تحطيمها، وفي حالات أخرى حيث الطريقة (الظرفية) الأحدث يجب أن تقود إلى خرق واضح للمبادئ ليس هناك دليل على الدعم من المصادر الأخرى، وبشكل عام فإن رؤية التقليد القديم والمستجد بأن المبادئ الأخلاقية الرئيسة مثل تلك ضد القتل والسرقة والكذب واللاأخلاقية الجنسية تعبر عن مطالب الدارما هي عامة ومطلقة مثل الواجبات المنصوص عنها في لوائح حقوق الإنسان.

من المحتمل أن يصبح البعد الأخلاقي للبوذية مهما بصورة متزايدة مع انتشار البوذية في الغرب، كيف سيتأقلم هذا البعد مع القوانين والأخلاق الغربية ويؤثر فيها سيكون أحد أكثر النواحي التلاقح الثقافي المعاصر إثارة وسيكون موضوع الفصل التالي.

الفصل التاسع

البوذية في الغرب

الاتصالات الأولى

على الرغم من أن البوذية انتشرت في آسيا إلا أنها ظلت غير معروفة في الغرب تقريباً حتى العصور الحديثة، فالبعثات التبشيرية القديمة التي أرسلها الإمبراطور أشوكا إلى الغرب لم تثمر كما أن الزائرين الغربيين إلى الهند القديمة تركوا آثاراً قليلة عنها في التاريخ.

لقد وصلت حملات الإسكندر الأكبر العسكرية في آسيا خلال القرن الرابع ق.م إلى نهر الهندوس في باكستان اليوم، وعبر الإسكندر نهر الهندوس عام ٣٢٦ ق.م ولكنه عاد غرباً ثم مات في بابل بعد ذلك بوقت قصير في عام ٣٢٣ ق.م، ووجد وريثه على القسم الشرقي من الإمبراطورية سيلتوس نيكاتور نفسه في نزاع مع عائلة موريان في الهند (٣٢١-١٨٤ ق.م)، وأخيراً اتفقا على معاهدة صلح عام ٣٠٣ ق.م، وزار سفير يوناني اسمه سميغاثينيس بلاط تشاندرا غوبتا موريا وهو جد آشوك في عاصمة الموريين باتاليبتا (باتنا اليوم)، وبعد هذه الاتصالات الأولية بدأت قصص القديسين الهنود المعروفين لليونان باسم (جيمنوسيفستا) بالانتشار في العالم الهليني، ومع ذلك

فقد كانت المعلومات التفصيلية حول الديانات الهندية نادرة، وكان الحديث في معظمه يدور حول المعجزات مثل الرجال الذين يمشون ورؤوسهم تحت ذراع واحدة، ولذا فقد بقيت البوذية غير معروفة تقريباً للعالم الغربي الكلاسيكي.

وفي القرن الثالث عشر سافر ماركوبولو عبر وسط آسيا إلى الصين وجعلته رحلته على اتصال مع الشكل الماهاياني للبوذية، وحول البوذا فقد قال (من المؤكد أنه لو عمد كمسيحي فإنه كان سيصبح قديساً عظيماً مع إلهنا المسيح).

وفي الوقت نفسه أصبحت قصة بالارم وجوزيفان والتي ألفت في الهند حوالي ١٠٠٠ سنة قبل ذلك أحد أكثر القصص انتشاراً في العصور الوسطى على الرغم من أن القراء لم يكونوا يعلمون أن القصة مؤسسة على حياة بوذا، فجوزيفان هو تحريف للكلمة بودهيساتفا.

وحتى اكتشاف البرتغاليين للطريق البحري إلى الهند عام ١٤٩٨ لم تنشأ إمكانية الاتصال الدائم بين الشرق والغرب، وكان لدى إمبراطوريات آسيا الوسطى اهتمام ضئيل بالأوروبيين أو بالقارة البعيدة والقليلة السكان التي أتوا منها، ومن جهتهم فإن الزوار الأوائل من أوروبا إلى آسيا كانوا أكثر اهتماماً بالعثور على الذهب أو بتحويل الناس إلى المسيحية بدلاً من دراسة الأديان الوثنية، وعلى الرغم من أن الجزويت الذين التقوا بالبوذية في الصين واليابان من القرن السادس عشر دهشوا بها إلا أن الاهتمام الجاد بالبوذية لم يتطور حتى منتصف القرن التاسع عشر حيث أتيحت معرفة مفصلة بها.

لقد جاءت المعرفة بالبوذية من خلال ثلاث قنوات رئيسة: بحوث العلماء الغربيين، وأعمال الفلاسفة والمفكرين والكتاب والفنانين، ووصول المهاجرين الآسيويين الذين جلبوا معهم أشكالاً مختلفة من البوذية إلى أمريكا وأوروبا.

الدراسة الأكاديمية

تطور الاهتمام الأكاديمي بالبوذية خلال الفترة الاستعمارية حين فرز موظفون أوربيون – العديد منهم علماء هواة ذوو كفاءة – إلى أنحاء مختلفة من آسيا، لقد كانت النصوص الأولى التي درست هي نصوص الماهايانا السنسكريتية والتي

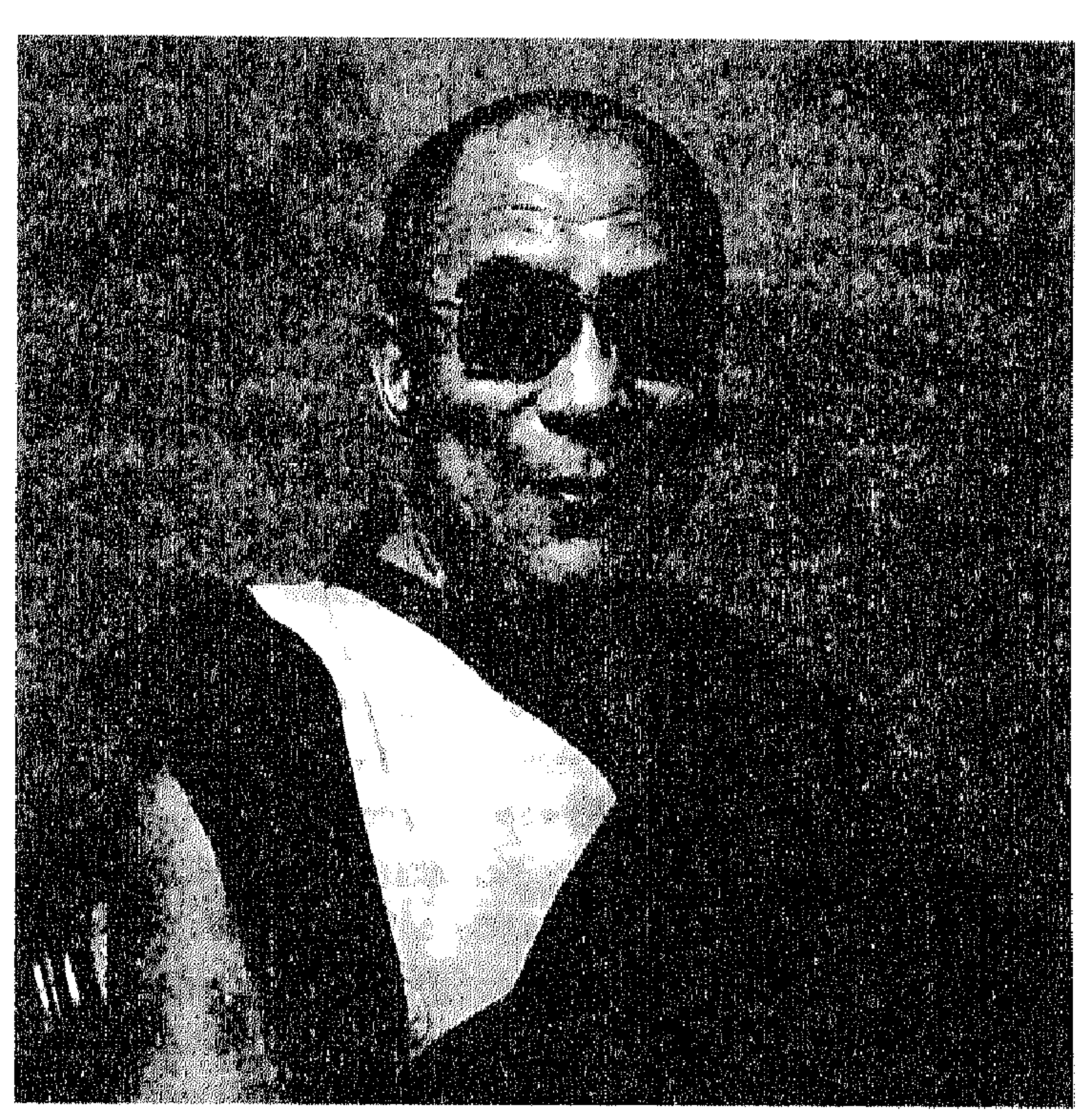
جمعت في نيبال من قبل القاطن البريطاني ب.هـ. هورجسن، وقام موظف بريطاني آخر بمساهمة هامة في دراسة الثيرفادا البوذية وهو ت.و.راي ديفيدز (١٨٤٧-١٩٢٢)، لقد أصبح راي ديفيدز مهتماً بالبوذية خلال إقامته في سيريلانكا وتابع ليعثر على النص البالي عام ١٨٨١ ويبقى (المجتمع) إلى اليوم المصدر الأهم لنشر النصوص وترجمة الأدب البوذي البالي.

لقد لعب العلماء المحترفون من دول عدة دوراً هاماً في نقل البوذية إلى الغرب، وقد نشر الفرنسي ايوجين بوربوف عام ١٨٤٥ كتابا بعنوان (مقدمة إلى تاريخ البوذية الهندية) ثم أتبع ذلك بعد ٧ سنوات بترجمة (لوتس سوتراس)، وازداد الاهتمام بالبوذية في ألمانيا بنشركتاب هيرمان أولدنبرغ (بوذا حياته ومجتمعه ومبادئه) عام ١٨٨١، ومع نهاية القرن نشر الأمريكي هنري كلارك وارن كتابه (البوذية في الترجمات) عام ١٨٩٦ وهي مادة رائعة من الانثولوجي من تشريع بالي والتي بقيت شائعة إلى اليوم، وحوالي ذلك الوقت عقد البرلمان الأول لأديان العالم في شيكاغو عام ١٨٩٣ وهو حدثٌ قُصد منه جلب ممثلين من مختلف الديانات في العالم لاكتشاف الأرضية المشتركة بينهم، وقد تضمن التمثيل البوذي آنا غاريكا دارما بالا (١٨٦٤-١٩٣٣) وهو سيريلانكي أعطى انطباعاً جيداً في خطاباته ولقاءاته العامة، ثم قام بعد ذلك بزيارتين خلال السنوات العشر التالية وأسس فرعاً أمريكيا لجمعية ماها بوده بي المؤسسة حديثاً، وهي أول جمعية بوذية عالمية مركزها الرئيس في كلكتا، لقد كان الفرع الأمريكي لهذه الجمعية أول تنظيم بوذي في الغرب، وبعد انقضاء القرن بوقت قصير توسع الاهتمام من البوذية في آسيا الجنوبية ليتضمن دراسة البوذية الماهايانية من خلال المصادر الصينية والتيبتية، ولقد ساهم العلماء البلجيك الكبار مثل لويس دولا مالي بوسين وأيضاً بعد ذلك ايفانلاموت بشكل كبير في هذا المجال، ويجب أيضاً ذكر د.ت.سوزوكي (١٨٧٠- ١٩٦٦) وهو بوذي ياباني طور وعياً بالبوذية (زين) من خلال محاضراته وكتبه المؤثرة.

الفلسفة والثقافة والفنون

لقد كان الطريق الثاني الذي دخلت منه البوذية إلى الثقافة الغربية هو طريق الفلسفة والثقافة والفنون، لقد كان الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهور (١٧٨٨ -١٨٦٠) أول مفكر غربي كبير يهتم بالبوذية ، وبسبب غياب المصادر الموثوقة فقد كان لشوبنهور معرفة غير كاملة بالبوذية ورأى فيها تأكيداً لفلسفته الخاصة المتشائمة نوعاً ما ، لقد بدت البوذية بالنسبة له أكثر الأديان العالمية عقلانية وتطوراً أخلاقياً ، وقد جلبت الإشارات المتكررة في كتاباته إلى البوذية اهتمام المفكرين في الغرب في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر.

وفي انكلترا نشر سير ادوين آرنولد ١٨٣٢-١٩٠٤ قصيدته الشهيرة (ضوء آسيا) عام ١٨٧٩ ، وتصف القصيدة حياة بوذا وتعاليمه بأسلوب ميلودراماتيكي جعلها محبوبة لدى القراء الفيكتوريين من الطبقة المتوسطة على جانبي الأطلسي، لقد كان آرنولد مسيحياً رأى كثيرا من التشابه بين تعاليم المسيح وبوذا ، وقد زار موقع (استنارة بوذا) بودهاغايا عام ١٨٨٥ وقام بحملة لإصلاح حالتها المزرية، وحوالي هذا الوقت



١٤- قداسة تينزين غياتسو الدلاي لاما الرابع عشر

كان الاهتمام بالروحانيات بين الفيكتوريين على أشده، وفي عام ١٨٧٥ أسس الكولونيل هنري أولكوت ١٨٣٢-١٩٠٧ ومدام بلافاتسكي ١٨٣١-١٨٩١ الجمعية الفلسفية اللاهوتية التي تفرغت لإظهار الحقيقة الخالدة التي اعتقد أنها موجودة في صميم الأديان جميعها، وقد ركز الاهتمام على الأديان في الشرق وأصبحت البوذية بشكل خاص موضوعاً محبباً للدراسة والنقاش في الصالونات وغرف الاستقبال الأدبية.

وقد ألمح الروائي الألماني هيرمان هيس كثيراً إلى مواضيع بوذية في كتاباته وبشكل رئيس في روايته سيدهارثا عام ١٩٢٢ والتي ترجمت إلى لغات عدة، وفي فترة بعد الحرب كانت روايات جاك كيرواك (الدارما Bums) و(على الطريق) شائعة ومحببة إلى جيل موسيقى الروك وزودت الإلهام للثقافات المضادة للعقود اللاحقة، لقد كتب الفيلسوف والمفكر آلان واتس عدداً من الكتب حول زين جذبت عدداً كبيراً من القراء، ولكن ربما أكثر من أي عمل فردي آخر فان كتاب روبرت بيرسيغ (زين) و(فن صيانة الموتورسيكل ١٩٧٤) على الرغم من أنها أكثر اهتماماً بالفلسفة الغربية من زين أكدت أن هذه المدرسة من البوذية معروفة في الثقافة الغربية على الأقل بالاسم، ولعبت السينما دورها أيضاً في إدخال الأفكار البوذية إلى الثقافة الغربية ولقد حولت رواية هيس سيد هارثا إلى فيلم أصبح شائعاً جداً في الجامعات في السبعينات، وفي عهد أقرب أوضحت الحبْكة في فيلم بوذا الصغير لبيير تولوي الذي صور جزء منه في الهند وجزء في أمريكا المدى الذي أصبحت فيه البوذية جزءاً من الثقافة الغربية، وتنسج الحبْكة بين قصة حياة بوذا مع البحث عن لاما تيبتي ولد مجدداً في مدينة سياتل لأبوين أمريكيين، وتشمل مساهمات أخرى من أمهات حديثة مثل سكورسي كوندون ١٩٩٧ وآنود (سبع سنوات في التيبت ١٩٩٧).

الهجرة البوذية

كانت الهجرة القناة الثالثة لدخول البوذية إلى الغرب، وقد أثرت هذه الظاهرة على الولايات المتحدة وأوروبا بطرق مختلفة، لقد ذهبت أغلب الهجرات البوذية إلى

الولايات المتحدة حيث بدأت مع هجرة العمال الصينيين للعمل في خطوط السكك الحديدية وفي مناجم الذهب منذ عام ١٨٦٠، واستقر عددٌ كبيرٌ من المهاجرين الصينيين واليابانيين في هاواي قبل أن تضم رسمياً إلى الولايات المتحدة عام ١٨٩٨، وقد شهدت العقود الحديثة موجة من المهاجرين من الهند الصينية في أعقاب حرب فيتنام واستقر حوالي نصف مليون بوذي من جنوب شرق آسيا في الولايات المتحدة.

لقد كان الاتجاه نحو تأسيس المهاجرين لمعابدهم المحلية كوسيلة لحفظ هويتهم الثقافية المتميزة بدلاً من التحول إلى دين آخر، وفقط بعد الجيل الأول أو الثاني ظهر نمط من التفاعل مع المجتمع المضيف بحيث التقى أفراد من خلفيات ثقافية مختلفة كـ (بوذيين) بدلاً من أفراد من مجموعة عرقية معينة.

وعلى الرغم من أن المملكة المتحدة استقبلت أعداداً كبيرة من المهاجرين الآسيويين إلا أن معظمهم جاء من شبه القارة الهندية وكانت غالبيتهم من الهندوس أو المسلمين، وهناك حوالي ١٩٠٠٠ لاجئ من الهند الصينية في بريطانيا و٢٢٠٠٠ في ألمانيا و٩٧٠٠٠ في فرنسا، إن أغلبية البوذيين في أوروبا هم قوقازيون تحولوا إلى البوذية بدلاً من مهاجرين جلبوا معتقداتهم معهم، وبالرغم من صعوبة الحصول على أرقام دقيقة فهناك في بريطانيا حوالي ١٠٠ مركز تيبتي وحوالي ٩٠ مركز ثيرفادي وحوالي ٤٠ مركز زين مع حوالي ١٠٠ مجموعة بمن فيهم أصدقاء النظام البوذي الغربي، ويأتي معظم المتحولين إلى البوذية في أوروبا والولايات المتحدة من الطبقة الوسطى بشكل رئيس.

إن كل الأشكال الرئيسة من البوذية ممثلة الآن في الغرب، ولكن من الصعب الحصول على إحصاءات دقيقة حول معدل نمو البوذية وهناك اختلاف كبير في الأرقام المذكورة، وقد قدر تشارلز ريسن في دراسته الرائدة (البوذية الأمريكية) عدد البوذيين في الولايات المتحدة عام ١٩٧٩ بحوالي عدة مئات من الآلاف، وفي أقل من ١٠ سنوات بعد ذلك في عام ١٩٨٧ قدر المؤتمر البوذي الأمريكي الذي أسس في العام نفسه من ٤٥ مجموعة العدد بـ ٥-٧ مليون، ولا يوجد إحصاء للمجموعات والتنظيمات البوذية في الولايات المتحدة ولكن بيريسن يقدر بأن هناك حوالي ١٠٠٠

مجموعة، ويمكن ملاحظة الزيادة في شعبية البوذية في أماكن أخرى في الغرب على الرغم من أن النمو على العموم كان أقل إثارة في أوروبا منه في الولايات المتحدة، وتقترح التقديرات أن هناك أكثر من مليون بوذي في أوروبا وحوالي ٢٠٠٠٠٠ في بريطانيا وما يكافئه في فرنسا.

المدارس البوذية في الغرب

قدمت البوذية حتى اليوم وجوهاً مختلفة إلى الغرب، لقد كان الشكل الأول للبوذية والذي استهوى جمهوراً واسعاً هو زين، وقد أصبحت هذه المدرسة شائعة في أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، وقد اتصل العديد من الأمريكيين بالثقافة اليابانية خلال إقامتهم في اليابان خلال تأديتهم الخدمة العسكرية، لقد كان لـ(زين) جاذبية كبيرة في أمريكا من خلال تأكيدها على العفوية والبساطة والخبرة الشخصية المباشرة والتي تجاوبت مع الاتجاهات الثقافية في أمريكا بعد الحرب، لقد استهوت الروح ضد السلطة في (زين) أيضاً جيل موسيقي الروك في الخمسينات وحركة الهيبيز في الستينات، لقد فعل أولئك الذين جربوا عقار الـLSD والعقاقير النفسية الأخرى مثل ذلك في إطار بحثهم المحرض روحياً عن خبرة (توسيع الإدراك) التي اعتقدوا أنها التنوير.

وكذلك فإن المدارس اليابانية الأخرى غير (زين) ممثلة جيداً في الغرب، إن أحد أقدم هذه المدارس وأكثرها شعبية هي مدرسة جادو شينشو (مدرسة الأرض الطاهرة الحقة) والتي تأسست في هونولولو عام ١٨٩٩، لقد كان العديد من المهاجرين اليابانيين الأوائل إلى الولايات المتحدة من أتباع هذه المدرسة، وقد شكلت لعقود عدة أغلبية البوذيين اليابانيين في الولايات المتحدة، وحديثاً فإن أحد أسرع المجموعات نمواً في أوروبا والولايات المتحدة هي مدرسة سوكاغاكي الدولية، لقد كانت هذه الجمعية التي تدعى (جمعية خلق القيم) بالأصل جناحاً من نيشيرين شوشو ولكنها انفصلت عنها في أوائل التسعينات، وتبحث مدرسة سوكاغاكي الدولية بنشاط عن متحولين إلى ديانتها وقد حققت نمواً مشابها للكنيسة الرسولية والتي تشبهها إلى حد ما في إنجيلها الايجابي (الأخبار الجيدة)، إن من تعاليم هذه

المدرسة أن الأفراد يمكن أن يحققوا كل أهدافهم من خلال تكرار العبارة mantra (المجد للوتس سوترا أو للدارما الحقة) مع توجه عقلي ايجابي ثبت أنه محبب إلى أولئك الذين ينجذبون إلى بوذية من نوع (تأكيد العالم) الأكثر تفاؤلاً، إن فنانة الروك تينا تيرنر عضوة في هذه الطائفة.

وتقدم بوذية التيبت تضاداً صارخاً للبساطة الجذابة الموجودة في (زين)، فالطقوس والرموز والاحتفالات البوذية التيبتية تولد شعوراً قوياً بما دعاه رودولف أوتو بـ (الروحانية numinous) أو الخوف من الميتافيزيقي على أنه سري وغامض، وتحرض الطقوس التيبتية التفكير الروحاني من خلال استخدام النشيد والرموز السحرية والطقوس والشموع والمباخر والأصوات الدرامية كضرب الصنوج، وتعلن التعاليم تدريجياً من خلال سلسلة متدرجة من التنصيب الهرمي، لقد ظلت التيبت لفترة طويلة في الخيال الغربي مركز السحر وكانت فرصة ملاقاة معلمين أصيلين من (بلد الثلوج) والمشاركة في طقوس ثقافة قديمة جذابة لأولئك الذين يجدون الحضارة الغربية خالية بصورة متزايدة من الرضا الروحي.

لقد سبب اجتياح التيبت عام ١٩٥٠ نزوحاً كبيراً تضمن عدداً كبيراً من اللاما الذين استقروا فيما بعد ضمن مجموعات بوذية في الغرب حيث تمثل الآن فيها كل المدارس البوذ التيبتية، إن معلمي التيبت ذوي الشخصيات القوية مثل تشو غيام ترونفبا (١٩٣٩-١٩٨٧) بدأوا حوارا مع علم النفس الغربي بخصوص البعد الروحي للنفس البشرية، إن إمكانية التعاون بين البوذية وعلم النفس الإنساني كبيرة وقد يكون هذا أحد القنوات الرئيسة التي تدخل منه البوذية إلى التيار الرئيس للثقافة الغربية، وقد أسس أناندا بودهي مراكز مثل مركز ترونفبا في بولدر بولاية كولورادو وأخذ فيما بعد المسؤولية بالنسبة إلى المؤسسة الأخت في اسكوتلنده والتي أسست من قبل.

لقد حافظت وسائل الإعلام الغربية على إبراز التيبت في عناوينها العريضة من خلال تغطيتها لقضايا حقوق الإنسان والسياسة، وشارك العديد من الغربيين في المسيرات والاحتجاجات ضد الاحتلال الصيني، لقد خدم دعم المشهورين ونجوم

السينما مثل ريتشارد جير وهاريسون فورد والظهور المتكرر لقداسة الدالاي لاما والتحقيقات من قبل الوكالات الحكومية وحلقات القضاة الدولية في رفع مكانة التيبت وقضيتها في الغرب.

إن الأشكال الصينية من البوذية ممثلة جيداً في الولايات المتحدة بسبب وصول المهاجرين الصينيين كما ذكر سابقاً، وفي عام ١٩٦٢ وصل هو سان هوا من هونغ كونغ وأسس مباشرة بعد ذلك اللجنة البوذية الصينية الأمريكية في سان فرنسيسكو عام ١٩٦٨، وقبل مضي وقت طويل تألف معظم الأعضاء من الأمريكيين البيض وانتقلت المنظمة إلى مقر أكبر في مدينة الـ ١٠٠٠٠ بوذا، في شمال كاليفورنيا حيث أقيمت مدرسة وجامعة مع مؤسسات تدريب رهبانية، إن شرف أكبر معبد بوذي في نصف الكرة الغربي يدعى من قبل معبد هسي لي المؤسس في تايوان والموجود في لوس أنجلوس.

لقد أسست أول مؤسسة ثيرفادية في الولايات المتحدة في واشنطن عام ١٩٦٦، وهناك الآن ٢٠ ديراً أو أكثر يسكن فيها الرهبان من سريلانكا وبورما ولاوس وتايلند وكامبوديا وأمريكا، لقد كانت البوذية الثيرفادية موجودة في انكلترا لحوالي ١٠٠ عام بالرغم من أن أسلوبها المتواضع وتفضيلها للعادات البسيطة بدلاً من القيادة الكاريزمية كان يعني أن وضعها ظل متواضعاً، لقد كانت الثرفادا أول شكل من البوذية يظهر في الغرب، وبالحفاظ على الطبيعة الدائرية للأشياء فإنها الآن تمر بمرحلة نهوض، لقد زاد الاهتمام بلغة بالي وهي لغة النصوص الثيرفادية في السنوات القليلة الماضية، وشجع وجود نسخ الكترونية لشريعة بالي على البحث، وقد نشأت أيضاً مراكز ثيرفادية جديدة وقوية مثل آمرافاني بالقرب من هيميل هيمستد في انكلترا، ولقد أسست هذه عام ١٩٨٥ تحت قيادة القس الأمريكي أجان سوميدو وهو تلميذ القس التايلندي أجان تشا.

شعبية البوذية

لماذا برهنت البوذية على شعبيتها في الغرب؟ إن الأسباب لذلك معقدة وترجع إلى حد كبير للتاريخ الثقافي للغرب ولجاذبية البوذية أيضاً، لقد كانت القراءات الغربية

المختلفة للبوذية محببة من حين لآخر بالرغم من أن هذه غالباً ما كانت تخبرنا عن تغير الموضة في الغرب أكثر مما تحدثنا عن البوذية، إن أحد أكثر التفسيرات الغربية لشعبية البوذية هي أنها فلسفة عقلانية وقد خلقت التطورات في الغرب مناخاً محبذاً للبوذية عندما ينظر إليها على هذا الضوء، لقد كانت التأثيرات الثقافية المسيطرة في الغرب منذ عصر التنوير في القرن الثامن عشر هي العلم والليبرالية العلمانية، وتبدو البوذية qua كفلسفة عقلانية ملائمة لهذا التوجه على الأقل أكثر من الديانة الغربية الأرثوذكسية، لقد تحدت الاكتشافات العلمية ونظريات مثل التطور التعاليم المسيحية التقليدية وجعلت التصرف الذي نوقش طويلاً من قبل الدين الرسمي دفاعاً عن الحقائق الموصى بها يبدو عقائدياً ومتخلفاً ولاعقلاني، إن غياب فكرة إنسانية الآلهة هي خاصة أخرى جعلت البوذية أكثر قبولاً للعقل الحديث.

وبالمقابل يبدو أن هناك القليل من المبادئ البوذية المعارضة مباشرة للعلم، وقد قدم مروجو العقلانية البوذية تفسيرات لها، إن نظرة البوذية إلى العالم أقل ضيقاً من الكونية المسيحية التقليدية، وهي تتوقع الاكتشافات الكونية الحديثة بدلاً من أن تكون على تضاد معها، وتقترح الاكتشافات الحديثة في الفيزياء الكوانتية أن العلم يأتي تدريجياً إلى نظرة للواقع ليست مغايرة لتلك الموصوفة في الفلسفة البوذية، وقد أظهرت كتب مثل (تاو الفيزياء) ١٩٧٦ مقاربات مثيرة بين العوالم المفترضة للفيزياء النظرية والفكر البوذي الشرقي.

وحتى الاعتقاد بالتناسخ — الذي ربما كان أكثر الأفكار البوذية صعوبة للتقبل من الغربيين - يلقى دعماً أولياً في دراسات مثل تلك التي قام بها عالم النفس الأمريكي ايان ستيفنسن وعلى الأخص في كتابه (عشرون حالة تقترح التناسخ) ١٩٧٤، إن الاعتقاد بالتناسخ شائع في عدد من الثقافات وفي الغرب بعد المسيحية أصبحت الفكرة جزءاً من الثقافة الشعبية، لقد جرب كثير من الناس العودة إلى حياة سابقة تحت تأثير التنويم المغناطيسي وادعوا تذكر خبرات من حيوات سابقة، ومهما كانت الحقيقة فإن فكرة التناسخ غامضة وتضيف رؤية جديدة ومثيرة حول الحياة البشرية يجدها العديدون جذابة.

إن أحد نتائج التناسخ هو أن الأفراد يستطيعون الانتقال عبر أصناف عديدة على سبيل المثال عندما يولد الإنسان مجدداً على شكل حيوان أو العكس، ويقدم هذا نظرة جديدة حول العلاقة بين الإنسان وبقية المخلوقات، وهي نظرة متجانسة مع علم البيئة المعاصر، ففي النظرة المسيحية التقليدية يعتبر الإنسان الراعي للعالم الطبيعي أو القائم عليه، وهو مسؤول أمام الله لتنفيذ هذا الواجب ولكنه فيما عدا ذلك حر في تنفيذ سيطرته على العالم الطبيعي، ويرى العديد من البيئيين أن هذا الاعتقاد شجع على استغلال الطبيعة وأنه تبنى حالة من عدم الاكتراث بشان الكائنات الأخرى، إن الاعتقاد المسيحي بأن للإنسان فقط روحا خالدة، وأنه لا يوجد مكان في الجنة للحيوانات يبدو وكأنه متحيز للإنسان وبعيد عن النظرة الشمولية لمعظم التفكير المعاصر، وعلى النقيض من المسيحية لا تفصل البوذية بين الأشكال المختلفة من الحياة، وبالرغم من أنها تقر بأن للحياة البشرية قيمة خاصة إلا أنها تعترف بأن كل الكائنات الحية تستحق الاحترام بحد ذاتها وليس بسبب الفائدة التي تمتلكها للإنسان.

وتبدو البوذية منسجمة أيضاً مع العقيدة الغربية المعاصرة المسيطرة الأخرى وهي الليبرالية العلمانية، فالبوذية غير عقائدية حتى إلى حد إرشاد متبعيها بعدم قبول تعاليمها بدون نقد، وهي تحضهم دوما على اختبارها على ضوء تجربتهم الخاصة، وعلى الرغم من أنها تطلب من تابعيها أن يأخذوا بعض التعاليم الأساسية على الثقة في المراحل الأولى، وتبني وجهة نظر ايجابية ومتحررة، إلا أنها تهتم أكثر بتطوير الفهم من قبول صيغ جاهزة، إن حقيقة أن البوذية تفرض القليل من المتطلبات الطقسية أو الافتراضية على تابعيها يجعلها أسهل للعيش كبوذي في وسط تعددي وتقلل احتمال الصراع مع القيم العلمانية، وربما ساهمت هذه الناحية من البوذية في شعبيتها في الولايات المتحدة حيث تنفصل الكنيسة عن الدولة بالقانون.

وينظر إلى البوذية أيضاً على أنها متحررة وتقدمية في مجال الأخلاق، فتعاليمها لا يعبر عنها بأوامر إجبارية على غرار (يجب أن لا) ولكن على أساس مبادئ عقلانية إذا اتبعت فإنها ستؤدي إلى خير الشخص نفسه وخير الآخرين وسعادتهم، ويتعارض

تسامح البوذية مع وجهات النظر الأخرى مع بعض القصص السوداء في تاريخ الدين في الغرب حيث استخدم الاضطهاد والتعذيب لسحق الهرطقة، ويجد الغربيون الذين يعترضون على النبرة الأخلاقية العقائدية للدين الرسمي البوذية غالباً بديلاً ملائماً يمكن من خلاله إتباع أهدافهم الدينية، وللتأمل البوذي أيضاً جاذبية قوية وهو يقدم تقانات عملية للتعامل مع الإجهاد والمتاعب النفسانية الأخرى.

الحداثة البوذية

لقد ساعدت القدرة على تقديم البوذية في تجانس مع العقائد المعاصرة المؤثرة بدون شك على انتشارها في الغرب، وتبعد هذه القراءة البوذية والتي دعيت (الحداثة البوذية) بعض ملامح الدين التي كانت موجودة منذ العصور الأولى والتي هي أقل تجانساً مع الاتجاهات الغربية المعاصرة، إن الاعتقاد بالمعجزات وفي فعالية المانترا أو التسبيح واللعنات والكرامات هي أحد هذه الأمثلة، وحتى اليوم تنشد حكومة التيبت في المنفى الوحي الديني للنصح حول القضايا الهامة، إن الاعتقاد بوجود مجالات غير أرضية أخرى مسكونة من الآلهة والأرواح وفي القوة غير المرئية للكارما هي مبادئ أخرى كانت مركزية في تعاليم البوذية منذ الأوقات الأولى.

وتشكل النظرة البوذية التقليدية لمكانة المرأة مشكلة أيضاً، ويرى معظم أنصار المرأة كل الأديان على أنها أبوية ومضطهدة للنساء، ولكن بما يهم البوذية فان الصورة أكثر تعقيداً، إن البوذية نتاج مجتمع آسيوي تقليدي، حيث ينظر إلى النساء على إنهن أقل شأناً من الرجال، ونتيجة لهذه الارتباطات الثقافية إلى حد كبير يمكن وصف البوذية على أنها ذكورية، وهناك ميل في العديد من المصادر لاعتبار الولادة المجددة كأنثى مصيبة من نوع ما، وربما لم يكن مرد هذا إلى التفرقة بين الجنسين وإنما هو تعبير عن حقيقة أن حظ النساء في بعض الحضارات الأبوية كان ولا يزال لا يحسد عليه، ومع ذلك سيكون من الخطأ التعميم حول الثقافة الآسيوية في هذا الصدد، وبالمقارنة مع أوروبا قبل العصر الحديث فان مكانة النساء كانت أفضل بكثير في الشروط القانونية الأخرى في بلدان مثل بورما من الغرب، وأكثر من ذلك لا تؤمن البوذية بأن هناك أية عقبة ماعدا من طبيعة

اجتماعية من أجل أن تحقق النساء تقدماً روحياً، وبالفعل كانت البوذية إحدى الديانات الأولى لتأسيس نظام الراهبات على الرغم من أن بوذا كان متردداً في البداية بالسماح بذلك شاعراً ربما بأن المجتمع ليس مستعداً في تلك المرحلة لمثل هذا التطور الجديد.

ومن وجهة نظر فلسفية فإن عدداً من النصوص البوذية المؤثرة تذكر بأن الجنس شأنه شأن كل الخصائص الطبيعية الأخرى يفتقر إلى حقيقة داخلية، إن هذا يهدم أساس التمييز ضد النساء بالنسبة للفلسفة البوذية، وبالرغم من قبولها المساواة بين الجنسين على المستوى الفلسفي فان البوذية مع ذلك قد تحتاج إلى تعديل بعض من طقوسها التقليدية وعاداتها لتؤمن الاختلاط الحر بين الجنسين والذي يعتبر أمراً عادياً في الغرب، وتوجد منظمة تعرف باسم ساكيادهيتا (بنات بوذا) وهي رابطة عالمية من النساء البوذيات من أجل توحيد النساء البوذيات من مختلف البلدان والتقاليد.

تنوير بوذي؟

لا تزال هناك مجالات فكرية أخرى من الصراع المحتمل بين البوذية والغرب، وقد تم تجاوز العديد من الخلافات بدلاً من مواجهتها مباشرة من قبل المفسرين المحدثين، وما هو مطلوب هو (تنوير بوذي) أو تحديث منظم للأسس الفكرية للبوذية بحيث تسمح لمجموعة واضحة ومتسقة من التعاليم حول قضايا معاصرة بالظهور، وفي العقد الأخير أو حوله بدأت حركة واسعة تعرف بـ (البوذية الاجتماعية) محاولة معالجة المسائل ذات الطبيعة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية، وتبحث هذه الحركة عن طرق لتطبيق لتعاليم القديمة على تحديات الحياة المعاصرة مستمدة ذلك من تعاليم الراهب الفيتنامي ثيتش نهات هانك Thich nhat Hank، وهذه ليست مهمة سهلة لأن البوذية إلى حد بعيد ظاهرة من حقبة ما قبل الحداثة، ولها خبرة بسيطة بمشاكل الحياة في الغرب، لقد كانت إحدى أهم مراكز الثقافة البوذية وهي التيبت ثيوقراطية منذ القرون الوسطى حتى نصف قرن مضى ومنقطعة تماماً تقريبا عن العالم الخارجي، وكانت البوذية في باقي أرجاء آسيا مجبرة إلى حد

كبير لاحتياجات مجتمعات زراعية حيث تعيش القرية في تجانس مع الدير، ولذا فإن المشاكل التي تنشأ ضمن هذه الأطر ليست نفسها التي يواجهها قاطنو المدن في الغرب حيث لا يوجد إجماع على القضايا الدينية والأخلاقية وحيث يعمل الفرد كذرة منفصلة بدلاً من أن يكون واحداً من مجموعة من علاقات القربى، إن نجاح البوذية في إعادة تشكيل نفسها للغرب سيقرر المدى الذي تصبح فيه قوة دينية رئيسة.

ليست المشكلة التي تواجهها البوذية مقتصرة عليها فقط، وتقدم التطورات المعاصرة في الأديان الأخرى مقاربات مثيرة، وقد يكون غير مسبوق إذا أدت الصراعات ضمن البوذية إلى انقسام بين المحافظين والتقدميين شبيه بالانقسام بين الأجنحة الأرثوذكسية والليبرالية من اليهودية، وربما سيعيد التاريخ نفسه وسيحرض وصول البوذية إلى الغرب على إنشاء نسخة حديثة من (الانقسام الكبير) الذي حدث في القرن الثالث ق.م بين الليبراليين والمحافظين، إن إحدى المجموعات المكرسة لتطوير نسخة غربية مميزة من البوذية هي أصدقاء النظام الغربي البوذي الموجودة في بريطانيا، ويعيش أفراد هذه المجموعة ضمن مجتمعات، ويكرسون أنفسهم لتطوير مجتمع بديل مدعوم بالتعاونيات التي تدار بحسب المبادئ البوذية.

إن التطورات الحديثة في تقانة المعلومات عنصر آخر سيؤثر على انتشار البوذية، إن ظهور السانغا السبرانية وهي شبكة من المجموعات البوذية في الولايات لمتحدة والموصولة بالحواسب وتوفر المعلومات على الخط حول البوذية من خلال الوسيلة الالكترونية مثل مجلة (الأخلاق البوذية) تعني أن لدى الأفراد حول العالم الآن وسيلة اتصال عبر الانترنت لتكوين مجتمع بوذي افتراضي من النوع الذي لم يوجد من قبل، إن وجود شكة معلومات عالمية سيؤدي إلى تقليل عدم التفاهم من النوع المجرب من قبل العميان في اتصالهم بالفيل الذي وصف في الفصل الأول.

لقد وصف المؤرخ آرنولد توينبي اللقاء بين البوذية والغرب بأنه (أحد أهم التصادمات في القرن الحادي والعشرين) والى هذا الفيض من الثقافات تجلب البوذية علم نفس متطور وتقانات تأمل وميتافيزيقيا عميقة وشريعة أخلاقية محترمة عالمياً،

ويجلب الغرب بدوره تجريبية تشككية وعلما وتقانة عملياتية والتزاماً بالديموقراطية والحرية الفردية، وإذا كان تاريخ انتشار البوذية إلى الثقافات الأخرى يعلمنا أية دروس فإن شكلاً جديداً مميزاً وأصيلاً من البوذية سيولد نتيجة لهذا اللقاء.

بوذية جديدة للغرب؟

لماذا لا تتكون في المستقبل بوذية غربية ناقها يانا أو (العجلة الجديدة) لا تتشكل عمدا وإنما تنجم عن النمو الطبيعي لجذور البوذية نفسها كما هي حال العجلات الأخرى، أي من سجل تنوير البوذا؟ ليس هناك سبب لعدم نموها بانسجام مع الأخريات، وحتى لامتزاجها مع أفضل ما جاء به العلم في الغرب كعلم النفس وعلم الاجتماع، وبالتالي لتأثيرها على الفكر الغربي الدائم التغير، وسوف لن تكون هذه البوذية الجديدة ثيرفادا أو زين، ماذا ستكون لا نعرف ولا يهم ذلك في الوقت الحاضر، إن الدارما خالدة ولكن أشكالها يجب أن تتغير دوماً لتخدم الحاجات المتغيرة باستمرار لبني البشر.

الكلمات المذكورة هي كلمات كريس ماس همفري (١٩٠١-٩٦٣) الرئيس المؤسس للجمعية البوذية في انكلترا وهي مأخوذة من كتابه (ست سنوات من البوذية في انكلترا) ص٨٠.



الفهرس

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

مدخل إلى البوذية

يقدم هذا الكتاب القيم للقارئ الكريم مدخلاً سهلاً ومبسطاً إلى البوذية، حيث تتضمن صفحات الكتاب محاولة لتفسير جوهر البوذية من حيث هل هي دين أم فلسفة، أسلوب للحياة أم مجرد مجموعة من القيم الأخلاقية.

إن من مبادئ البوذية الأساسية (عدم الأذى) حيث يكن البوذيون احتراماً كبيراً لكل الكائنات الحية.... ولعلّ هذا أدى بكثير من البوذيين لأن يصبحوا نباتيين ويتبنوا السلام كأسلوب في الحياة. للبوذية أتباع كثر في مختلف دول آسيا وحديثاً لاقت مبادئها قبولاً واسعاً في الدول الغربية، وهي بذلك تتجزأ إلى عدد من الطوائف والمدارس التي تتراوح بين كونها محافظة وتقليدية، وبين كونها أكثر إبداعاً عقائدياً.





هاتف : ٥٦٢٧٠٦٠ - فاكس : ٥٦٣٢٨٦٠